جامعة بابل
كلية التربية
قسم اللغة العربية

أبو تمام الطائي وأبو الطيب المتنبي

التأثّر والتأثير

(دراسة موازنة)

رسالة تقدم بها الطالب

فارس عزيز مسلم

إلى
مجلس كلية التربية في جامعة بابل
وهي جزءٌ من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

بإشراف

أ. م. د. عدنان حسين العوادي

جمادى الثانية /١٤٢٣هـ — آب / ٢٠٠٢م

k

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ
إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ
يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ
بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ
قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾

سورة الصف / ٦

إقرار المشرف

أشــهد أنّ إعـداد رسـالة طالـــب الماجســـتير : " **فارس عزيز مسلم** " الموسومة بـ " أبو تمام الطائي وأبو الطيب المتنبي التأثر والتأثير (دراسة موازنة) " تمّت بإشرافي في قسم اللغة العربية في كلية التربية / جامعة بابل ، وأنّها استوفت خطتها استيفاءً تاماً .

المشرف : أ. م. د. عدنان حسين العوادي
الإمضاء :
التاريخ :

بناءً على التوصيات المتوافرة أرشح هذه الرسالة للمناقشة .

رئيس قسم اللغة العربية
أ. م. د. علي ناصر غالب
الإمضاء :
التاريخ :

قرار لجنة المناقشة

نحـــن أعضـــاء لجنـة المناقشـة نشـهد أنّنـا قـد اطلعنا على رسالة الطالب " **فارس عزيز مسلم** " الموسومة بـ " أبو تمام الطائي وأبو الطيب المتنبي التأثر والتأثير (دراسة موازنة) " وقد ناقشناه في محتوياتها وفي ما له علاقة بها . ونعتقد أنّها جديرة بالقبول للحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها ، بتقدير ( ) .

عضو لجنة المناقشة **عضو لجنة المناقشة**

الاسم : أ.م.د. عدنان حسين العوادي	الاسم :
الإمضاء :	الإمضاء :
التاريخ :	التاريخ :

المشرف	رئيس لجنة المناقشة
الاسم : أ.م.د. عدنان حسين العوادي	الاسم :
الإمضاء :	الإمضاء :
التاريخ :	التاريخ :

صدِّقت هذه الرسالة من مجلس كلية التربية بتاريخ / / ٢٠٠٢ م

العميد
أ. د. عباس إبراهيم الجبوري
الإمضاء :
التاريخ :

الإهداء

إلى والدي

غائبـاً... حاضـرا

فارس

Babylon University

Education College

Arabic Language Dept.

Abu Tammam a T-Ta'i and Abu T-Taib AL-Mutanabbi Affecting and Effecting (A Comparison Study)

A Thesis Submitted by:

Faris Aziz Moslem

To the Council of College of Education, University of Babylon as Partial Fulfillment of the Requirement for the Degree of Master in Arabic Language and its literature

Supervised by:

Assistant Professor

Dr. Adnan Husain Al-Awadi

٢٠٠٢ ١٤٢٣

Abstract

This thesis dealt with affecting and effecting between Abu Tammam and Abu Ttayb AL-Mutanabbi (comparison study), after I noticed the great relative between them in the meanings and sometimes in the style.

This study divides into fourth chapters, first chapter deals with the (model example) of the two poets in the style of praise, we saw identification in the characteristics of model example between them, which is mean of effecting and affecting.

The second chapter studied "rising a critical movement" which is taken from only the two poets from other Arab's poets, Abu Tammam rose a critical movement about his poetry, after him Abu Ttayb AL-Mutanabbi rose a critical movement about his poetry too. Abu Ttayb AL-Mutanabbi's movement was greater and more violence. The critics' censures were about common points between the two poets, which is ensure the affecting and effecting, how Abu Ttayb AL-Mutanabbi's benefit from Abu Tammam's poetry experience with critics and linguistics.

The third chapter studied (mental tendency) for two poets, the two poets had thinking and opinion. They were showing their opinion in many affairs, some of them were their sight to epoch and time, their sight to woman and friend (they were pessimistic), their sight to "evil and good" they were near to optimistic and objective and their sight to (character and pretend) they were agreed with character against pretend.

The fourth chapter studied "phenomena's eloquence and stylistic) the two poets had dealt with them and it were most commonly between them, these phenomena were (counterpoint), (repetition) and (poetical

opposition). The two poets had common used from the two stylistic arts (counterpoint and repetition) and they were produced many of meanings and thoughts. While (the poetical opposition), I studied in it Abu Tammam's poems which are objected by Abu Ttayb AL- Mutanabbi which is referred certainly, on the affecting and effecting.

But the affecting by meanings (contents) were more than affecting by style (form). I tried in the whole study to be neutral and fair and not to be exaggeration in the affecting and effecting. I had recognized that effecting did not considered fault on the Abu Ttayb AL-Mutanabbi especially he was exceeded his teacher who was effected by him.

The study ended with the follow:

١. The poetic is one of the most arts or literatures tended toward effecting, imitation and inspiration, the poet could not separate from the his nation's old poetical heritage or which was preceded him, the poet must be belong to his generations' poets and asked their guidness toward the best way for innovation.

٢. This study showed the Abu Tammam's importance as a poet he was effected to whom came after him from innovators, he had left his characteristics on the Arab's poem, we do not thing that these characteristics which were deleted to now.

قائمة المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	
التمهيد	
العروبة	
الزعامة الأدبية	
الفصل الأول : التكسب (المثل الأعلى)	
الشجاعة	
الكرم	
الهيبة (السطوة)	
العقل	
الجمال (الحب)	
الفصل الثاني : إثارة حركة نقدية	
الاستعارة	
استعمال الغريب	
الغموض والتعقيد	
الفصل الثالث : النزعة العقلية	
التشاؤم	
الخير × الشر	
الطبع × التكلف	

الموضوع	رقم الصفحة
الفصل الرابع : ظاهرات بلاغية واسلوبية مشتركة	
الطباق	
الترديد	
المعارضة	
الخاتمة	
المصادر	
ملخص باللغة الإنكليزية	A – B

التمهيـد

سمتان مشتركتان
. العروبة
. الزعامة الادبية

التمهيد

قبل الدخول في صميم البحث ، نجد لزاما علينا ان نذكر – باختصار – سمتين بارزتين للشاعرين موضوع الدراسة (أبي تمّام وأبي الطّيب) قد لا نجدهما مجتمعتين في شاعر آخر كاجتماعهما فيهما ، وهاتان السمتان هما :

العروبة

بعيداً عن كلّ المناقشات التي دارت حول عروبة أبي تمّام وإسلامه ، ومحاولات إلصاقه الفاشلة باليونان او النصرانية [١] ، فإننا لا يمكن أن نرتاب في أنّ أبا تمّام " عربيٌّ قح " [٢] ، وأنّه " من نفس طيء صليبةً " [٣] ، وأنّه " الشاعر الذي رفع لواء العروبة "بأوسع مظاهرها في شعره " [٤] ، وانه الذي يخاطب الخليفة المعتصم بالله قائلا :

أبقيت جدَّ بني الإسلام في صعدٍ والمشركين ودار الشرك في صببِ [٥]

وشعر أبي تمّام كلّه يصرخ بهذه الحقيقة لمن يطلب الدليل على عروبته نسباً " ويشهد بذلك فخره المضطرم بطيء وانه اختار منها أكثر ممدوحيه ونوّهَ تنويهاً عظيماً بمن سجّلوا لها في عصره أمجاداً حربيةً مما يدل على أنّه طائي عريق وعربي أصيل " [٦] ، من ذلك قوله مفتخراً :

أبى لي نجر الغوث أن أرأم التي اسب بها والنجر يشبهه النجر*
وهل خاب من جذماه من ضِنءِ طيء عدي العديين القلّمس او عمرو؟! [٧]

ويقول في قصيدة أخرى :

أنا ابن الذين استرضع الجود منهم وسمي فيهم وهو كهل ويافع *
سما بي أوس في السماء وحاتم وزيد القنا والأثرمان ورافع ! [٨]

ويرى بعض الباحثين انه لم يمثل العروبة والاسلام بمعناهما الواسع حتى ذلك الوقت الشاعر كما مثلهما ابو تمام[٤]. أما أبو الطّيب فان " العروبة لم تعرف شاعراً في القديم أخلص لها كما أخلص " [٩] ، ففي شعره " تعصب واضح للعروبة " [١٠] ، وحسبه وحسبنا ان يقول شارحاً أحوال زمانه :

وإنما الناس بالملوك وما تفلح عرب ملوكها عجم
لا أدب عندهم ولا حسب ولا عهود لهم ولا ذمم
في كل ارض وطئتها أمم ترعى بعبد كأنها غنم

---

[١]. الإنسان والتاريخ في شعر أبي تمّام ، د. اسعد احمد علي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٢ ، ١/ ١٤٠ وما بعدها .
[٢]. أبو تمّام حياته وشعره ، بأقلام عدة باحثين ، المكتبة الحديثة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٨ ، ص ١٨ ، وينظر ص ٢٢-٢٣ .
[٣]. الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، دار أحياء التراث العربي . مصور عن طبع دار الكتب - ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، د.ت ، ١٦/ ٣٨٣ .
[٤]. عبقرية العرب في العلم والفلسفة ، عمر فروخ ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، ط٤ ، ١٩٨٥ ، ص٤٨ .
[٥]. ديوان أبي تمّام (بشرح الخطيب التبريزي) : تحقيق محمد عبده عزام ، دار المعارف – مصر، ط٣ ، ١٩٧٢ ، ١/ ٤٧ .
[٦]. العصر العباسي الأول : د. شوقي ضيف ، دار المعارف – مصر ، ط٣ ، ١٩٦٦ ، ص٢٦٩
[٧]. الديوان : ٤/ ٥٧١ .
[٨]. الديوان : ٤/٥٨٤-٥٨٥ .
[٩]. فصول في الشعر ونقده ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف – مصر ، ط٢ ، ١٩٧٧ ، ص١٠٥ .
[١٠]. الموسوعة العربية الميسرة ، دار نهضة لبنان للطبع والنشر ، بيروت – لبنان ، ١٩٨٧ ، ٢/ ١٦٤٤ .

يستخشــن الخــزّ حــين يلبســه وكـان يبـرى بظفـره القلـم[1]

[1] . ديوان أبي الطّيب المتنبي (بشرح أبـي البقـاء العكبـري المسمى بالتبيـان فـي شرح الـديوان ، ضـبطه وصـححه ووضع فهارسه : مصطفى السقا ، إبـراهيم الابيـاري ، عبـد الحفيظ الشلبي ، شركة ومطبعـة مصـطفى البـابي الحلبي وأولاده ، مصر ط٢ ، ١٩٥٦ ، ٤/ ٥٩ .

*- النجر: الاصل ، الجذم: الاصل، الضنّ: الاصل والمعدن، القلّمس: الكثير العطاء، وقيل للبحر قلّمس، زيد القنا: هو زيد الخيل الفارس المشهور، واسماء الاعلام الباقية هم اجواد طي قبيلة الشاعر.

الزعامة الأدبية

لقد توافر لدى الشاعرين (أبي تمّام وأبي الطّيب) شروط وأسباب للإبداع منها :

١- الذكاء .

٢- قوة الحافظة .

وهذان الشرطان أساسيان للإبداع إذا اجتمعا مع (الموهبة) فأبو تمّام شُخِّص ذكاؤه (من خلال شعره) من الفيلسوف الكندي حتى قال " هذا الفتى يموت قريباً لان ذكاءه ينحت عمره كما يأكل السيف الصقيل غمده " [١] ، أما أبو الطّيب فقد اشتهر بالذكاء وقوة الحافظة حتى لتروى عن حافظته أعجوبة على لسان أحد الوراقين [٢] ، وتروى مثل هذه الأعاجيب عن غيره من الأدباء منهم أبو تمّام [٣] ، وهي قصص وروايات قد نشك في مضمونها الحرفي " ولكن ممّا لاشك فيه أنّ هناك واقعا وراء نسج أمثال هذه القصص حولهم " [٤] ، وفي الحقيقة إنّ الذكاء والحافظة والموهبة لا يوفون بالغرض ولا يكفون بلا مواصلة الدرس والشغف والسعي إلى الإبداع والبحث عنهوهذا ما كان يفعله أبو تمّام ، فيروى أنّ أحدهم تعجب من أبي تمّام وقد رآه منهمكا غارقا في الدفاتر فسأله " يا أبا تمّام أنك لتنظر في الكتب كثيرا وتدمن الدرس فما أصبرك عليها ! ، فقال : واللهِ ما لي إلفٌ غيرها ولا لذة سواها وإني لخليق إن أتفقَّدها أن أحسن " [٥] ، وكأنه كان يدرك قبل (جوته) بقرون أنّ الوحي واحد في المائة " وتسعة وتسعون في المائة للعرق " [٦] ، ويروى عن أبي تمّام أيضاً أنهكان " مستهتراً بالشعر ، مشغوفاً به ، مشغولاً مدة عمره بتبحره ودراسته " [٧] ، أما أبو الطّيب فلا نخاله قد أنقطع عن الدراسة والتبحر في اللغة والأدب نعرف ذلك من خبر يرويه رجل من أهل الشام كان يتوكل لأبى الطّيب في داره ، في قصة لسنا بصددها ، إنمّا يهمنا منها ما سوف نقتبسه لنعرف مدى ولع أبي الطّيب بالمطالعة والدراسة ،يقول ذلك الرجل "... ثُمَّ جن الليل ، فقمّت شمعة

---

[١]. هبة الأيام فيما يتعلق بابي تمّام ، الشيخ يوسف البديعي ، مطبعة دار العلوم – القاهرة – ١٩٣٤ ، ص١٣-١٤ .

[٢]. الصبح المنبي عن حيثية المتنبي ، يوسف البديعي ، تحقيق وتعليق : مصطفى السقا ، محمد شتا ، عبده زيادة عبده ، دار المعارف - مصر ، ١٩٦٣ ، ص ٢٠ – ٢١ .

[٣]. المصدر نفسه،ص٢٦-٣٣ .

[٤]. ثقافة المتنبي وأثرها في شعره ، هدى الأرناؤطي ، منشورات وزارة الثقافة والفنون ،الجمهورية العراقية ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٨، ص٣٠ .

[٥]. طبقات الشعراء ، ابن المعتز ، تحقيق : عبد الستار احمد فرّاج ،دار المعارف – مصر ، ط٤،١٩٦٥ ، ص ٢٨.

[٦]. بحث في علم الجمال ، جان برتليمي ،ترجمة د. أنور عبد العزيز ، مراجعة د. نظمي لوقا ، دار النهضة ،مصر ، ط٢، ١٩٧٠ ، ص٤٦ .

[٧]. الموازنة بين شعر أبي تمّام والبحتري لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي ، تحقيق :السيد أحمد صقر ، دار المصارف ،مصر ،ط٢،١٩٧٢ ، ٥٨/١ .

ومرفع دفاتره ، وكانت تلك عادته كلّ ليلة ... وعينه إلى الدفتر يدرس ... " [١] ، واحسبه – هو الآخر – كان يؤمن قبل (ادجار ألن بو) بقرون ان " الفن جهد وعرق " [٢] ، ثم إن أبا الطّيب صاحب الشطر المشهور:

وخير جليس في الزمان كتاب [٣]

وبهذه الشروط والعوامل والأسباب مجتمعة متشابكة استطاع الشاعران – كلٌّ في عصره – أن يتسنما ذرى زعامة الشعر ، فإذا بابي تمّام " قد ملأ الدنيا بشعره " [٤] على حد ما يقوله أحد الأَعراب في زمانه ، ويقول أحد نقاد الأدب القدماء القدماء عن أبي الطّيب انه جاء " فملأ الدنيا وشغل الناس " [٥] ، وانه لم يذكر معه شاعر " إلا أبو فراس ، ولولا مكانه من السلطان لأخفاه " [٦] ، وإذا عرفنا إن أبا تمّام تمّام هو " أول شاعر إسلامي استطاع ان يفرض زعامته فرضا وان يعترف له بهذا الناس جميعا دون ان يزاحمه فيها أحد مزاحمةً جدّيةً " [٧] ، فان أبا الطّيب هو زعيم شعراء وقته بلا منازع ، وقد أحسّ الشاعران هذه الزعامة وهذا التفوق على شعراء الأمة العربية والإسلامية ، فأبو تمّام لا يفخر بنفسه فقط حين يقول مخاطباً ناقته :

بكورك اشعر الثقلين طراً وأوفى الناس في حسب صميم [٨]

وانما ينطلق من واقع أحسّه وحدسه حين قاس به الأشباه والنظراء من الشعراء ، وهو يعرف – جيدا – ماذا يقول حين يثبت تفوق ممدوحه وتفوقه في الشجاعة وفي الشعر حين يقول مادحا دينار بن عبد الله :

وقد علم القرن المساميك انه سيغرق في البحر الذي أنت خائض
كما علم المستشعرون بأنهم بطاء عن الشعر الذي أنا قارض
كأني دينار ينادي ألا فتى يبارز إذ ناديت من ذا يعارض[٩]

اما أبو الطّيب * فقد أدرك سر عداء الشعراء له وذمهم له حين يقول :

---

[١] . ترجمة المتنبي ، أبن العديم ، ملحقة بكتاب المتنبي رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ، محمود محمد شاكر ، دار المدني بجدة ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ١٩٨٧ ، ص٦٤٦ .

[٢] . الأسس النفسية للإبداع الفني (في الشعر خاصة) ، د. مصطفى سويف ، دار المعارف – مصر ، ١٩٧٠ ، ص٤٦ .

[٣] . التبيان : ١/ ١٩٣ .

[٤] . أخبار أبي تمّام ، أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، حققه وعلق عليه : خليل محمود عساكر ، محمد عبدة عبدة عزام ، نظير الإسلام الهندي ، المكتب التجاري ، بيروت ، د.ت ، ص٩٢ .

[٥] . العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت – لبنان ، ط٤ ، ١٩٧٢ ، ١/ ١٠٠ .

[٦] . المصدر نفسه : ١/ ١٠١ .

[٧] . من حديث الشعر والنثر ، طه حسين ، دار المعارف – مصر ، ط٩ ، د.ت ، ص١٠٠-١٠١ .

[٨] . الديوان : ٢/ ٥٣٤

[٩] . نفسه : ٢/ ٣٠٠

أرى المتشاعرين غروا بذمي ومن ذا يحمد الداء العضالا
ومن يكُ ذا فمٍ مرٍّ مريضٍ يجد مرَّاً به الماء الزلالا[1]

وكلامنا على الزعامة الأدبية سيقودنا الى الكلام على التكسب .

---

* أجرى أحد الباحثين الموازنة بين المتنبي وشوقي على أساس الزعامة الشعرية او الإمارة التي " ان لم يظفر بها (المتنبي) حقا فكأن قد " ينظر : المتنبي وشوقي (دراسة ونقد وموازنة) ، عباس حسن ، دار المعارف . مصر ، ١٩٦٤ ، ص٩ .

[1] . التبيان : ٣/ ٢٢٨ .

المقدمـــة

المقدمة

في أثناء قراءتي ديواني الشاعرين (أبي تمّام الطائي) و (أبي الطّيب المتنبي) لمحتُ تقارباً كبيراً بينهما ، في النفس وفي الفن ، حماسة ، إيماناً بالقوة ، إيماناً قوياً بالعروبة ، جزالة في الألفاظ ورصانة في التراكيب ، فكراً عميقاً ، حزناً عميقاً ، فخراً واعتداداً عارماً بالنفس وبالفن ، غربة دائمة ، مزاجاً حاداً ، إحساساً مرهفاً ، حكمة ..... الخ .

ولكن أهم ما يجمع بينهما هوَ (المعنى) ، فلقد تأثر أبو الطّيب بمعاني أبي تمّام تأثراً كبيراً ... وليس من وكدنا ان نحصي عدد الأبيات المتطابقة المعنى بين الشاعرين ... فهي كثيرة ... كثيرة جداً ... منها ما هو مكشوف ظاهر ... ومنها ما هو مستور مموّه ... لا يكشفه إلاّ الحس والحدس اللغوي والنقدي المرهف ولا تجدي معها الأرقام .

و " المعنى " الذي تقصد إليه هذه الدراسة هو الرؤية للأشياء ، وهو الفكرة التي يتخيل المرء إنها قد صدرت من رأس واحد !

جاءت هذه الدراسة في أربعة فصول ، درسنا في الفصل الأول " المثل الأعلى " لدى الشاعرين ورأينا تطابقاً في صفات المثل الأعلى بينهما ، والمثل الأعلى وإن أسهم في صنعه شعراء العربية كلهم قبل أبي تمّام لكننا نراه تماماً عند أبي تمّام ... مصوغاً على طريقة خاصة من الصياغة يبدو معها وكأنه من إبداع أبي تمّام ، لا يكاد ينازعه فيه منازع ، وما على أبي الطّيب – بعد ذلك – إلاّ أن يطوّر ويحوّر في هيكل (المثل الأعلى) المستعار من أبي تمّام ... ليبدو معه جديداً على غاية من الجدة .

وفي الفصل الثاني : درسنا " إثارة حركة نقدية " وهو ما تفرّد به الشاعران ، فلم يعهد من شاعر في العربية في القديم انه أثار حركة نقدية حوله كما أثارها أبو تمّام حول فنه ، وقد تأثر أبو الطّيب فيه في هذا المجال في طريقة تعامله – شعرياً - مع النقاد والمتلقين واللغويين ومن ثم انشاء حركة عنيفة حول فنه هي أكبر مما ثار حول أبي تمّام ... حولّ بها أبو الطّيب حول فنه بذكائه وعبقريته .. وقد دارت هذه الحركة على مؤاخذات متطابقة على الشاعر مما يؤكد أو يؤيد التأثر والتأثير.

وفي الفصل الثالث درسنا " النزعة العقلية " لدى الشاعرين ، فهما ربا فكر وصاحبا رأي ورؤية ... أبديا آراءهما في أمور جمة ... منها نظرتهما نحو الدهر أو الزمان ونظرتهم نحو المرأة أو نحو الصديق (وكانا متشائمين) ومنها نظرتهما نحو " الخير والشر " وكانا اقرب إلى التفاؤل والى الموضوعية ومنها نظرتهم نحو (الطبع والتكلف) وكانا مع الطبع دائما ضد التكلف أبدا .

وفي الفصل الرابع تناولنا بالدراسة " ظاهرات بلاغية وأسلوبية " تداولها الشاعران وشاعت بينهما وهي (الطباق " و (الترديد) و (المعارضة) فقد ولّد الشاعران من (الطباق والترديد) الجديد من المعاني والطريف من الأساليب ، فلم يكن هذان الفنّان البلاغيّان محسّنِين بلاغيين حسب ، وإنما كانا من أعمدة الكلام في شعر الشاعرين يعبر بهما عن المعنى احسن تعبير وتبرز بهما الأفكار العميقة افضل

بروز . كما درست أو عرضت (المعارضات الشعرية) وتأثر أبي الطّيب ببعض قصائد أبي تمّام ، امتدادا لتأثره بالأبيات المفردة ، وقد وقفت على المعاني وعرّجت على الأساليب البلاغية التي احتواها أبو الطّيب ، ووقفت على الصياغة (الشكل) ، ووجدت إن التأثّر بالصياغة (ا لشكل) لدى أبي الطّيب كان أقل من التأثّر بالمعاني (المضمون) .

وقد حاولت – في الدراسة كلها – أن أكون محايداً ومنصفاً ، وان لا أكون مبالغاً أو مغالياً في نسبة التأثر أو التأثير ، مُسلِّماً بل مؤمناً بحقيقةٍهي إن التأثر شيء غير منكر ، بل هو شيء لابد منه ، قال أحد علماء البلاغة العربية : " ليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممن تقدمهم والصب على قوالب من سبقهم ، ولولا أن القائل يؤدي ما سمع لما كان في طاقته أن يقول ، وإنما ينطق الطفل بعد استماعه من البالغين " [1].

وفي الختام أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي الجليل د. عدنان حسين العوادي الذي أفادني من علمه الجمّ ، لا في مدة الإشراف حسب ، وانما طوال تلمذتي له منذ المرحلة الأولى حتى الآن ، لا انقطعت افاداته ، وأتقدم بالشكر لكل من يمد للدراسة يد البناء وساعد المساعدة .

[1] . كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت ٣٩٥ هـ) . تحقيق : علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، مصر ، ط٢ ، ١٩٧١ ، ص٢٠٢ .

الفصل الأول

التكسّب : المثل الأعلى

قال أبو تمّام :

ونـادبٌ رفعـةً قـد كنـتُ آملهـا لـديك لا فضـةً أبكـي ولا ذهبـا

الديوان : ٢٣٧/١

قال أبو الطّيب :

وما رغبتي في عسجدٍ أستفيدهُ ولكنَّهـا فـي مفخـرٍ أسـتجدُّهُ

التبيان : ٣٠/٢

قال أبو تمّام :

غربتْ خلائقه وأغربَ شاعرٌ فيـه فأحسـن مُغـربٌ فـي مُغـربِ

الديوان :١٠٧/١

قال أبو الطّيب :

شاعرُ المجد خدنهُشاعرُ اللفظِ (م) كلانـا ربُّ المعـاني الـدقاقِ

التبيان : ٣٧١/٢

قال أبو تمّام :

وحياة القريض إحياؤك الجود (م) فـإنْ مـات الجـود مـات القـريضُ

الديوان : ٢٩٢/٢

وقال أيضاً :

ولولا خلالٌ سنّها الشعر ما درى بغاة الندى من أين تُؤتى المكارم

الديوان : ١٨٣/٣

قال أبو الطّيب :

أحييتُللشعراء الشعر فامتدحوا جميـع مَـنْ مـدحوه بالـذي فيكـا

وعلّموا الناس منك المجد واقتدروا علـى دقيـق المعـاني مـن معانيكـا

التبيان : ٣٧٨/٢

قال أبو تمّام :

لبسـتُسـواه أقوامـاً فكـانوا كمـا أغنـى التـيمم بالصـعيد

الديوان : ٢ / ٤٢

قال أبو الطّيب :

وزارك بـي دون الملـوك تحرّجـي إذا عنَّ بحرٌ لـم يجـزْ لـي التيمُّمِ

التبيان : ٤ / ٩١

قال أبو تمّام :

هممـي معلقـةً عليـك ، رقابهـا مغلولـةً ، إنَّ الوفـاء إسـارُ

الديوان : ٢ / ١٨١

قال أبو الطّيب :

وقّيد تُنفسـي فـي ذراك محبَّـةً ومـن وجـد الإحسـان قيـداً تقّيدا

التبيان : ١ / ٢٩٢

قال أبو تمّام :

لا تعتلـل إنمـا بالمكرمـات إذا أنـت اعتللـت تُـرى الأوجـاع والعلـل

الديوان : ٣ / ٥٣

قال أبو الطّيب :

إذا اعتلّ سيف الدولة اعتلّت الأرضُ ومَن فوقها والبأسُ والكرمُ المحضُ

التبيان : ١ / ٢١٨

قال أبو تمّام :

هيهاتَ لا يأتي الزمان بمثلهِ إنَّ الزمانَبمثله لبخيلُ

الديوان : ٤ / ١٠٢

قال أبو الطّيب :

أعدى الزمانَسخاؤهُ فسخا بهِ ولقد يكون به الزمان بخيلا

التبيان : ٣ / ٢٣٦

التكسّب – المثل الأعلى

قد تقترن وتتزامن كلمة " التكسّب " مع كلمات أخرى غير مرغوب فيها وتتداعى الأفكار إلى أن الشاعر يكون أمام ممدوحه مستجدياً صغيراً ، باذلاً فنه مبتذلا له ، وهذا – بالتأكيد – قد يحصل من الشاعر الضعيف الموهبة والشخصية، ومن لا يرى في الشعر إلا كلمات التضخيم والتفخيم الموزونة المقفاة ، وهذا – بالطبع – لم يحصل مع الشاعرين (أبي تمّام وأبي الطّيب) فأبو تمّام عرف قدر نفسه وقيمته الفنية كما عرفه الممدوحون ، سواء في حياته حين قال له أحد ممدوحيه " أنا والله أغار على مدحك ان تضعه في غير موضعه ، ولئن بقيت لأحضرنّ ذلك إلا على أهله " [١] ، أم حين مات فقال الخليفة الواثق بالله " قد غمّني موت الطائيّ الشاعر " [٢] ، وحين رثاه محمد بن عبد الملك الزّيات " وهو حينئذٍ وزير " [٣] ، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على أن أبا تمّام كان من الطبقة المثقفة ومطلوب من الطبقة الحاكمة والمثقفة أيضاً ، فهو لم يبتذل فنه على الرغم من كونه شاعرا متكسبا ، فهو لم يغرق في بحر الممدوح ، ولم يختف من قصائده المدحية ولم يكرّسْ جهده تماما للممدوح بل " كان يخاتل ممدوحيه ، ليتفرغ في قصائده للحديث عن الشعر ، او الحديث عن بعض مظاهر الطبيعة " [٤] وكثيراً ما " أسقط بعض جوانب حياته في شعره " [٥] ، وهذه الظاهرة ربما تكون اظهر واشهر عند أبي الطّيب الذي ما مدح إنسانا " إلا مدح نفسه معه " [٦] ، حتى قال له أبو فراس الحمداني حين أنشد قوله :

فالخيل والليل والبيداء تعرفني والضرب والطعن والقرطاس والقلم [٧]

" وما أبقيت للأمير ، إذا وصفت نفسك بالشجاعة والفصاحة ، والرياسة والسماحة، تمدح نفسك .... وتأخذ جوائز الأمير ؟ " [٨] ، وهو الذي اشترط على سيف الدولة أول اتصاله به انه إذا انشده مديحه لا ينشده إلا وهو قاعد ، وانه لا يكلف تقبيل الأرض بين يديه " فنسب إلى الجنون ، ودخل سيف الدولة تحت هذه الشروط " [٩]. إذن ، فهناك الشاعران أبو تمّام وأبو الطّيب كانا حُرَّين أمام ممدوحيهما وكانا حُرَّين في مدحهما فهما لم يسجنا في قفص المديح ، أما ما قاله بعض الباحثين من أنَّ أبا الطّيب لو لم يتخذ من الشعر " وسيلة للتكسب لحصلنا – ربما – على قصائد جيدة في

---

[١] . أخبار أبي تمّام ، ص ٢٦٦ .
[٢] . المصدر نفسه ، ص ٢٧٢ .
[٣] . تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، الحافظ أبو بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، د. ت، ٨ / ٢٥٣ .
[٤] . أبو تمّام وقضية التجديد في الشعر ، د. عبده بدوي ، الهيأة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٥ ، ص ٥٧ .
[٥] . المصدر نفسه ، ص ٥٤ .
[٦] . فن المديح ، احمد أبو حاقة ، دار الشرق الجديد ، بيروت – لبنان ، ط ١ ، ١٩٦٢ ، ص ٥٤ .
[٧] . التبيان : ٣ / ٣٦٩ .
[٨] . الصبح المنبي عن حيثية المتنبي ، ص ٩٠ .
[٩] . المصدر نفسه ، ص ٧١ .

مجالات أخرى أو ملاحم رائعة في عالم الفروسية والحرب أو أبيات في التأمل الفلسفي أوحت فيما بعد إلى شعراء كالمعري قبسا من الأفكار الفلسفية " [١].

فهذا النص – على وجاهته – يبقى افتراضا لا يؤيده إلا الظن ، مع أننا قد حصلنا من أبي تمّام على قصيدة عموريّة " وهي إلى أن تكون ملحمة أقرب منها إلى أن تكون قصيدة " [٢] ، ومن أبى الطّيب على قصائد لا تقل روعةً وملحميةً عن قصيدة قصيدة عموريّة ، بل أن بعض البا حثين يفضل سيفيات أبي الطّيب الحربية على الملاحم الكبيرة في أدب الشرق والغرب ثم يضيف قائلاً : " ولا أحط من قيمة هذه الملاحم ولكن أقول إنها لا تعلو في شعرها إلى مستوى قصائد أبي الطّيب القصيرة إلا أبياتا متفرقة تنبغ في المنظومة حيناً بعد حين " [٣] ، وحتى أبيات التأمل الفلسفي التي أشار إليها د. جلال الخياط قد حصلنا عليها وقد حصدناها من رياض معاني أبي تمّام والمتنبي فأوحت أقباساً إلى الشعراء وأولهم المعري ، كما سيمر في خلال البحث ، وما نريد أن نذهب إليه هو أن علينا إن نعطي لكل شيء حقه ولا نغمطه وان لا نقيس بمقاييس الوقت الحاضر الماضي الغابر ، وبذلك لا نتنكر للمديح الذي هو " أبرز الفنون الشعرية على الإطلاق رافق قيثارة الشعر العربي منذ وجودها الأول " [٤] . وظلَّ المديح في الشعر العربي " يرسم المثالية الخلقية " [٥] ، ونحن لا نقصد - بالطبع – المدح الزائف للرجال بغير ما هو فيهم ، بل نقصد مدح الإنسان المثال الذي رسمه الشعر والذي طمح أبو تمّام وأبو الطّيب إلى أن يكون أمامهم متجسداً فكان شعرهم جلّه تركيزا وإلحاحا على هذا (المثل الأعلى) الذي لم ير كاملا مكتملا إلا في أذهانهم وخيالاتهم الشعرية لذلك كان أبو تمّام " يقصد إلى المثل الأعلى في الحضارة العربية ويلح عليه " [٦] ، وسنبرهن على أ ن أبا الطّيب قد أفادَ كثيرا في أخذه أخذه ملامح وقسمات وأوصاف المثل الأعلى من أبي تمّام ، وانه قد حذا حذوه في تأكيد أهم جوانب (المثل الأعلى) بعد ان لمَّ أبو تمّام أوصالَ المثل الأعلى المتناثرة هنا وهناك في أشعار العرب ... الجاهليين والإسلاميين .. وفي أخبارهم .. وقصصهم وأساطيرهم ... ولم شعت تلك الصفات في كيان كامل يمكن الأخذ منه وتحويره وتطويره ... وهنا قد نسأل .. ولماذا لا يكون أبو الطّيب قد اخذ الصفات التي ذكرها أحد النقاد القدماء مما تصلح أن تشكل المثل الأعلى وهي " العقل والشجاعة والعدل والعفة " [٧] ، مع ما يتركب أو يشتق أو يتفرع من هذه الفضائل والصفات [٨] .

---

[١] . التكسّب با لشعر ، د. جلال الخّياط ، دار الآداب ، بيروت – لبنان ، ١٩٧٠ ، ص ٦١ .
[٢] . العصر العباسي الأول ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف – مصر ، ط ٣ ، ١٩٦٦ ، ص ١٦٢.
[٣] . ذكرى أبي الطّيب بعد ألف عام ، عبد الوهاب عزام ، دار المعارف – مصر ، ط ٣ ، ١٩٦٨ ، ص ٨٦ .
[٤] . فن المديح ، ص ١٤ .
[٥] . العصر العباسي الأول ، ص .
[٦] . أبو تمّام وقضية التجديد في الشعر ، ص٧١ .
[٧] . نقد الشعر ، أبو الفرج قدامة بن جعفر ، تحقيق وتعليق : د. محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية العلمية ، بيروت – لبنان ، د.ت ، ص٩٦ .
[٨] . المصدر نفسه ، ص٩٨ .

وللرد على هذا السؤال نقول :

١- إنَّ أبا الطّيب وان طابق قدامة في صفات المثل الأعلى الأساسية وفي تفريعاتها ، فمعاني المدح " لا يمكن حصرها بأربع فضائل ، الأمر الذي أضطره إلى إن يركّب ويشتق " [١] ، ولكنه مع ذلك أهمل المدح بالفضائل الجسمية وعدها من عيوب المدح[٢] ، وهو ما لا يتفق مع أسلوب أبي تمّام و أبي الطّيب في المدح ، كما سيأتي .

٢- لا يبعد أن يكون قدامة بن جعفر قد استنبط بعض الفضائل الأساسية او الثانوية والفرعية من شعر أبي تمّام ، لشهرة أبي تمّام ، وكثرة شعره ، وإلحاحه على هذه الصفات " وكان قدامة – بلا شك – يستقري الشعر العربي، ويستنبط منه القواعد التي تحكم شعر المدح وغيره من أغراض " [٣] .

ومن خلال المثل الأعلى ، تفوَّق أبو تمّام على شعراء عصره ومن إلحاحه وتقليبه الصور والمعاني على المثل الأعلى اصبح أبو تمّام زعيما لشعراء عصره المتكسبين حتى انه " ما كان أحد من الشعراء يقدر على أن يأخذ درهماً في الشعر في حياة أبي تمّام ، فلما مات اقتسم الشعراء ما كان يأخذه " [٤] - وعلى الرغم المبالغة المبالغة في هذا النص –فانه يقدم لنا تصورا تاما عن أهمية أبي تمّام مادحاً أو راثياً " وليس بين الرثاء والمدح فرق ... " [٥] ، ونستطيع ان نتخيل الفراغ الذي تركه أبو تمّام حتى جاء أبو الطّيب ، فكان تعويضا عن الطائيين ، إذ يُروى ان عضد الدولة كان جالسا يوم زينته وحفله وقيل له " ما يعوز مجلس مولانا سوى أحد الطائيين فقال عضد الدولة : لو حضر المتنبي لناب عنهما " [٦] .

ومن هنا نستطيع أن نفهم ، لماذا كان شعراء المديح هم أشهر شعراء الأمة العربية ولماذا كان أبو الطّيب ثالث ثلاثة "وهؤلاء الثلاثة هم لات الشعر وعزاه ومناته" [٧]، وبعد ، فلابد لنا أن نستعرض أهم واعم صفات المثل الأعلى متوخين الاختصار لنرى مدى التشابه في المعاني وفي صورة المثل الأعلى مما يدل على تأثير أبي تمّام في أبي الطّيب .

أولا - الشجاعة

---

[١]. محاضرات في تاريخ النقد عند العرب ، د. ابتسام مرهون الصفار ، د. ناصر حلاوي ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي – جامعة بغداد ، ط٢ ، ١٩٩٩ ، ص٢٢٩ .

[٢]. نقد الشعر ، ص١٨٤ .

[٣]. محاضرات في تاريخ النقد عند العرب ، ص٢٢٩ .

[٤]. الأغاني : ١٦/ ٣٨٨ .

[٥]. العمدة : ٢/ ١٤٧ .

[٦]. الواضح في مشكلات شعر المتنبي ، أبو القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني ، تحقيق : الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٦٨ ، ص٢٥ .

[٧]. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين بن الأثير ، تحقيق : د. أحمد الحوفي ، د. بدوي طبانة ، منشورات دار الرفاعي بالرياض ، ط٢ ، ١٩٨٤ ، ٣/ ٢٦٩ .

ليس الممدوح عند كلا الشاعرين شجاعاً حسب ، ولا هو فتى فقط ، ولكنه (فتى الفتيان) عند أبي تمّام [١] ، وعند أبي الطّيب [٢] ، وإذا قاد جيشاً عرمرماً لجباً كان هو نفسه جيشاً دون ذلك الجيش ، يقول أبو تمّام :

لو لم يقد جحفلا يوم الوغى لغدا من نفسه وحدها في جحفل لجب [٣]

أما أبو الطّيب فيفصّل هذا الإجمال ويشرح قليلا فيقول :

الجيش جيشك غير أنّك جيشه في قلبه ويمينه وشماله
ترد الطعان المر عن فرسانه وتنازل الأبطال عن أبطاله
كل يريد رجاله لحياته يا من يريد حياته لرجاله[٤]

ويقول في قصيدة أخرى :

ولما رأوه وحده قبل جيشه دروا ان كل العالمين فضول [٥]

اما علاقة الممدوح الشجاع بالمنايا ، فهي علاقة شراكة وحلف وصداقة ، يقول أبو تمّام :

مطل على الآجال حتى كأنه لصرف المنايا في النفوس مشارك[٦]

وممدوح أبي الطّيب كذلك فهو :

شريك المنايا والنفوس غنيمة فكل مماتٍ لم يمته غلول [٧]

وأحيانا لا تكتفي المنايا بـ (الغلول) من غنيمة الممدوح من الأرواح ، بل تغدر بشريكها وتصيبه في صميم قلبه وتتناسى فضله عليها ، حين تسلب شريكها أحبته ، كما فعلت مع سيف الدولة أكثر من مرة ، فيخاطب أبو الطّيب الموت بقوله " غدرت يا موت " [٨] وكأن الموت يسأله : لماذا ؟ فيكون جواب أبي الطّيب له : لأنك سألت أخا المرثية نفوسا قد لا تحصى في المعارك " ولم يبخل ولم تخب " [٩]، ولا عجب من المنايا فقد غدرت بشريكها قبل هذا بابنه ، وخانته في عهده وعقده الذي أبرمه معها ، ولكنها – على كل حال – لا تغدر به في الحرب ، يقول أبو الطّيب :

تخون المنايا عهده في سليله وتنصره بين الفوارس والرِجْلِ [١٠]

---

[١]. الديوان : ٤/ ١٤٤ .
[٢]. التبيان : ١/ ٨٨ .
[٣]. الديوان : ١/ ٥٩ .
[٤]. التبيان : ٣/ ٦٤ .
[٥].التبيان : ٣/ ١٠٤ .
[٦]. الديوان : ٢/ ٤٦٢ .
[٧]. التبيان : ٣/ ١١٠ .
[٨]. نفسه : ١/ ٨٧ .
[٩]. نفسه : ١/ ٨٧ .
[١٠]. نفسه : ٣/ ٤٧ .

وممدوحو أبي تمّام وأنصارهم أبطال لا يخشون الموت ، ولا يجدون كأس الموت مرة بل هم :

يتساقون في الوغى كأس موت وهي موصولة بكأس رحيق [١]

وهم لذلك :

يستعذبون مناياهم كأنَّهم لا ييأسون من الدنيا إذا قتلوا [٢]

وهم يندفعون إلى حومة الوغى :

مسترسلين إلى الحتوف كأنما بين الحتوف وبينهم أرحام [٣]

وكداهم أنصار ممدوح أبي الطّيب :

وفوارس يحيى الحمام نفوسها فكأنها ليست من الحيوان [٤]

وأنصاره أيضا كذلك ، فقد كان يتمنى أن يصول على أعدائه :

بكل أشعثَ يلقى الموت مبتسما حتى كأنَّ له في قتله أربا [٥]

وأنصار ممدوح أبي تمّام هم :

أساد موت مخدرات ما لها إلا الصوارم والقنا آجام [٦]

والممدوحون أنفسهم هم :

أسد العرين إذا ما الروع صبحها أو صبَّحتُهولكن غابها الأسل [٧]

وهم عند أبي الطّيب :

بنو العفرنى محطة الأسد الـ أسد ولكن رماحها الأجم [٨]

بل إن الممدوح أقوى من الأسد أو الليث وأكثر هيبة ، يقول أبو تمّام :

لو عاين الأسد الضرغام رؤيته ما ليم إن ظن رعبا أنه الأسد [٩]

فالممدوح الأسد في عين الأسد نفسه ، بينما ممدوح البحتري (الفتح بن خاقان) هزبر في عين الشاعر فقط في قوله :

هزبر مشى يبغي هزبرا ، وأغلب من القوم يبغي– باسل الوجه– أغلبا [١٠]

أما أبو الطّيب فهو يتلبس أو يستعير عين الأسد وفكره وخواطره – محتذياً أبا تمّام – قائلاً عن ممدوحهِ بدر بن عمار والأسد ويفصل في الصورة :

أسُدٌيرى عضويه فيك كليهما متنا أزلَّ وساعدا مفتولا [١١]

والممدوح ليس أسد فقط في العين ، بل هو قبيلة ، يقول أبو تمّام :

---

[١]. الديوان : ٢/ ٤٣٣ .
[٢]. الديوان :ى٣/ ١٧ .
[٣]. نفسه : ٣/ ١٥٦ .
[٤]. التبيان : ٤/ ١٨١ .
[٥]. نفسه : ١/ ١٢٠ ، ٤/ ٢١ .
[٦]. الديوان : ٣/ ١٥٦ .
[٧]. نفسه : ٣/ ١٨ .
[٨]. التبيان : ٤ / ٦٣ .
[٩]. الديوان : ٢/ ١٦ ، ٤ / ١٠٤ .
[١٠]. ديوان البحتري ، عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه : حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف – مصر ، ط٣ ، ١٩٧٧ ، ١/ ٢٠٠ .
[١١]. التبيان : ٣/ ٢٤٠ .

ثبت المقام يرى القبيلة واحداً ويرى فيحسبه القبيل قبيلا [1]

أو هو جيش (خميس) في قول أبي الطّيب :

لما سمعت به سمعت بواحد ورأيته فرأيت منه خميسا [2]

ويطول بنا الكلام إذا استعرضنا جل معاني الشجاعة ، فهي كثيرة ، متطابقة لدى الشاعرين ، ثم إن الشجاعة ستنتظم مع فضائل أخرى أو تتشكل مع عضو آخر من أعضاء (المثل الأعلى) وهي :

ثانيا : الكرم

هذه الصفة تحتل عند أبي تمّام منزلة عالية ، فهي تنافس الشجاعة ولكنها لا تتعارض معها بل هي نابعة منها ومنتوجة عنها وهي عند أبي الطّيب " تنافس الشجاعة " [3] أيضا " وعلى هاتين الصفتين يقدم مئات الأبيات " [4] ، واشد ما ألح عليه هذان الشاعران " (إن عطايا الممدوح تبحث عن السائلين) ، يقول أبو تمّام :

فأضحت عطاياه نوازع شرَّداً تسائل في الآفاق عن كل سائل [5]

وهذا المعنى يتكرر في أغلب قصائده ، وتكرار المعاني والإلحاح عليها من الشاعر قد يدل على " امتلائه بها وانشغاله بأمرها حتى لتستطيع أن ترى فيه أفكاره الأساسية " [6] وقد يدل أيضا على أنَّ الشاعر يريد إن يسَّجِلَ هذا المعنى لنفسه ويمتلكه ويمتلكه امتلاكا – حتى وان قيل قبله – عن طريق التكرار وتقليب المعاني ، لذلك فإن أبا الطّيب ألحّ على هذا المعنى وكأنه أراد أن ينقل ملكية المعنى إليه ، فيقول :

وعطاء مال لو عداه طالب أنفقته في ان تلاقي طالبا [7]

أما المعنى الآخر الذي ألحّ أبو تمّام ولج فيه فهو (إن السائل من الممدوح يصبح بعد الإعطاء مسؤولا) يقول أبو تمّام :

فرحت من عنده ولي رَ فدٌ ينالـه المعتفون من رفده [8]

أو يقول :

واني لأرجو ان ترد ركائبي مواهبه بحراً تُزَّجى مواهبي

وهذا ما أعاده أبو الطّيب وكرره كثيراً ، يقول :

يعطي فتُعطي من لها يده اللها وترى برؤية رأيهِ الآراء

---

[1]. الديوان : ٣/ ٧١ .

[2]. التبيان : ٢/ ١٩٩ .

[3]. المحصول الفكري للمتنبي ، سهيل عثمان ، منير كنعان ، دار الإرشاد ، بيروت ، ط١ ، ١٩٦٩، ص١٥٣ .

[4]. المصدر نفسه ، ص١٥٣ .

[5]. الديوان : ٣/ ٧٩ .

[6]. النقد المنهجي عند العرب ، د. محمد مندور ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٩، ص٣١٠ .

[7]. التبيان : ١/ ١٣٢ .

[8]. الديوان : ١/ ٤٤٢ .

وبذلك يصير " سائله مسؤولاً " [١] .

أما المعنى الآخر الذي تواطأ عليه الشاعران واكثرا منه اكثاراً فهو (نفور الممدوح من المال لأجل جوده) فالممدوح يطلب المجد اولاً وأخيراً لذلك فهو لا يتمسك بالمال بعد ان يمسكه بل يدفعه الى السائلين والا فان المجد لا يمكن ان يجاور الدراهم في كف الممدوح ، يقول أبو تمّام :

فلم يجتمع شرق وغرب لقاصدٍ ولا المجد في كف امرئ والدراهم [٢]

فالممدوح أبداً هو " مدنٍ للجود ، وهو مقصٍ للمال ... " [٣] .

ويقول أيضا :

فالمال أنىّ ملت ليس بسالم من بطش جودك مصلحاً او مفسدا [٤]

وابو الطّيب لا يحيد عن هذا النهج بل هو يتوغل في غاباته ويتوقل في جباله لكن المعنى الأساس يبقى هو هو ، يقول متعجباً :

لمن مال تمزقه العطايا ويشرك في رغائبه الأنام
ولا ندعوك صاحبه فترضى لان بصحيةٍيجب الذمام
تحايده كأنك سامري تصافحه يُدفيها جذام [٥]

ويقول أيضا معزيا المال راثياً له :

ألا أيها المال الذي قد أباده تعزّ فهذا فعله في الكتائب [٦]

وهذا الممدوح الذي هو " متلاف للمال حتى كأن بينهما عداوة " [٧] لم نعرف من أين يأتي بالمال الذي هو ينبع من يديه ولا يكاد ينفد لولا ان الشاعرين يخبراننا بذلك ، فالممدوح محارب نائلُهمن الحروب ، يقول أبو تمّام :

فنّول حتى لم يجد من ينيله وحارب حتى لم يجد من يحاربه [٨]

فالممدوح ليس تاجراً ، بل إننا نجد عند الشاعرين نفوراً من (التجار) يقول أبو تمّام عن ممدوحيه :

لفظ لأخلاق التجار وانهم لغدا بما ادخروا به لتجار [٩]

ويأسف جدا اذا تحول الملوك المقاتلون الى تجار ، يقول متأففاً :

مضى الأملاك وانقرضوا وأمست سراة ملوكنا وهم تجار [١٠]

فأبو تمّام يمدح بقيم بدوية خاصة فالبدو يحتقرون من " يكسب رزقه بكد يمينه او عرق جبينه انهم يعدون ذلك دليلا على الجبن والضعف فالقوي الشجاع في نظرهم

---

[١]. التبيان : ١ / ٢٥ .
[٢]. الديوان : ٣ / ١٧٨ ، ٣ / ٢٦٨ .
[٣]. نفسه : ١ / ٢٩٥ .
[٤]. نفسه : ٢ / ١٠٧ .
[٥]. التبيان : ٤ / ٧٩ ، ١ / ١١٧ ، ١ / ٢٣٠ ، ٢٣١ .
[٦]. نفسه : ١ / ١٥٨ .
[٧]. المحصول الفكري للمتنبي ، ص ١٥٣ .
[٨]. الديوان : ١ / ٢٢٧ .
[٩]. الديوان : ٢ / ١٧٨ .
[١٠]. نفسه : ٢ / ١٥٤ .

يجب ان يكسب رزقه بحد سيفه وقوة ذراعه " [١] وابو تمّام يهجو مقران المباركي بمهنة " الفلاحة " والمهن على أنواعها " يحتقرها البدو كل الاحتقار " [٢] ، يقول أبو تمّام :

فقولا لمقران فيم المقام وهذا حصادكم قد حضر ؟
بِعِ السيف ثم استجد منجلا وابدل بسوطك رفشاً وسر [٣]

ولم يظهر اثر (الأعرابية) او (البداوة) في معاني أبي تمّام او ألفاظه حسب – كما سيأتي – بل ظهر في سلوكه أيضاً ، فأبو تمّام يدخل على المأمون " في زيّ أعرابي " [٤] ، أما أبو الطّيب فمع انه ولد في الكوفة فقد رحل إلى البادية وجاء " بعد سنين بدوياً قحاً " [٥] ، يسير على نهج أبي تمّام في النفور من (التجار) والاستنكاف منهم حين يقول عن أم سيف الدولة مكرِّماً لها ان من سار في جنازتها هم أمراء (أرباب سيوف) :

ولا من في جنازتها تجار يكون وداعها نفض النعال [٦]

وحين يستهزئ بعدو ممدوحيه فانه يجد منشأه في القرى سببا للهزئ به ، يقول :

طلب الإمارة في الثغور ونشؤه ما بين كرخايا الى كلواذا

يقول العكبري : " يقول : لا تصلح الإمارة له ، لانه من سواد العراق " [٧] ، وهذه دعوة من الشاعرين الى العودة الى الاصول العربية ايمانا منهما " أنّ اهل البدو اقرب الى الخير من اهل الحضر " [٨] وانهم " اقرب الى الشجاعة من أهل الحضر " [٩] ومن هنا يظهر الربط الوثيق بين شجاعة الممدوح وعطائه ، يقول أبو تمّام :

اذا ما أغاروا فاحتووا مال معشر أغارت عليه فاحتوته الصنائع [١٠]

يقول أبو الطّيب :

ويحيي له المال الصوارم والقنا ويقتل ما يحيي التبسم والجَدا [١١]

ويلحّ أبو ا لطّيب " على المصدر البدوي للثروة وهو غنائم الأعداء "[١٢] كما ألحّ عليه أبو تمّام من قبل ، ولا ينبغي ان نفهم هذا من أبي الطّيب على انه " قليل

---

[١]. دراسة في طبيعة المجتمع العراقي ، د. علي الوردي ، مطبعة العاني – بغداد ، ١٩٦٥ ، ص ٦٢ ٦٢ .
[٢]. المصدر نفسه ، ص ٦٠ .
[٣]. الديوان : ٤ / ٣٧٧ .
[٤]. ديوان المعاني ، أبو هلال العسكري ، مكتبة الاندلس ، بغداد ، د. ت ، ٢/ ١٢٠ .
[٥]. الصبح المنبي عن حيثية المتنبي ، ص ٢٠ ، وعن بداوة أبي الطّيب ينظر : ذكري أبي الطّيب بعد ألف عام ، ص ٢١٥ ، المتنبي وشوقي ، ص ٨٨ .
[٦]. التبيان : ٣ / ١٧ .
[٧]. نفسه : ١ / ٨٤ .
[٨]. مقدمة ابن خلدون ، طبعة دار الشعب ، مصر ، د. ت ، ص ١١٢ .
[٩]. المصدر نفسه : ص ١١٤ .
[١٠]. الديوان : ٤ / ٥٨٨ ، ٣ / ٧٣ .
[١١]. التبيان : ١ / ٢٨٢ ، ١ / ٢٠ ، ٢ / ١٢٥ .
[١٢]. المحصول الفكري للمتنبي ، ص ١٥٤ .

التطور عن عصره " [1] ، بل ينبغي ان نفهم هذا من أبي الطّيب ومن أبي تمّام قبله في في نطاق الحماسة وفي نطاق الفن وفي نطاق تبديه .

ويبدو الربط بين الشجاعة والكرم أوضح في بعض الأبيات كقول أبي تمّام في خالد بن يزيد الشيباني :

وإذا رأيت أبا يزيد في ندىً ... ووغىً ومبدئ غارة ومعيدا
يقري مُرَّجِيهِ مشاشة ماله ... وشبا الأسنة ثغرة ووريدا
أيقنت ان من السماح شجاعة ... تدمي وإنَّ من الشجاعة جودا [2]

ويقول أبو الطّيب عن سيف الدولة :

هو الشجاع يعد البخل من جبن ... وهو الجواد يعد الجبن من بَخلِ [3]

وهكذا يتبع أبو الطّيب أباتمّ امفي نهجه ، حتى عندما ينقل ساحة المعنى الى (الدار الآخرة) حين يقول أبو تمّام :

وان لم يجد في قسمة العمر حيلة ... وجاز له الإعطاء من حسناته
لجاد بها من غير كفرٍ بربه ... وآساهُمُ من صومه وصلاته [4]

فيقول أبو الطّيب عن ممدوحيه :

ولو يمَّمتهم في الحشر تجدو ... لأعطوك الذي صلوا وصاموا [5]

وهذا المعنى يظهر الممدوح اكثر سخاءً من ممدوح مسلم بن الوليد الذي قال فيه :

يجود بالنفس إذ أنت الضنين بها ... والجود بالنفس أقصى غاية الجود [6]

وفي الحقيقة ان اقصى غاية الجود ، هو الجود المتخَّيل في ذلك الموقف الرهيب الذي وصفه القرآن الكريم في قوله تعالى﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ(٣٣)يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ(٣٤)وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ(٣٥)وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ(٣٦)لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [7] ،

فكل هذه المبالغات من الشاعرين هو لأجل إثبات صفة كرم الممدوح وتثبيتها في الأذهان ، فهي فضيلة وخصلة غالية عند العرب منذ الجاهلية فلم " تكن خصلة عندهم تفوق خصلة الكرم " [8] .

---

[1]. المصدر نفسه .
[2]. الديوان : ١ / ٤١٨ .
[3]. التبيان : ٣ / ٣٨ ، ٢ / ٣٧٢ .
[4]. الديوان : ١ / ٣٠٩ .
[5]. التبيان : ٤ / ٧٧ .
[6]. شرح ديوان صريع الغواني ، تحقيق : د. سامي الدهان ، دار المعارف – مصر ، ط ٢ ، ١٩٧٠، ص ص ١٦٤ .
[7]. سورة عبس ، الآيات (٣٣ – ٣٧) .
[8]. العصر الجاهلي ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف – مصر ، ط ١٠ ، ١٩٨٢ ، ص ٦٨ .

ثالثاً : الهيبة ـ السطوة :

تكاد هذه الصفة تختص وتستقل بنفسها ، مع انها مشتقة من الشجاعة ، وذلك لإلحاح الشاعرين عليها، فممدوح أبي تمّام بلغ من الهيبة والرهبة حداً جعله:

لم يغزُ قوما ولم ينهد الى بلد الا تقدمه جيش من الرعب [١]

وقال ايضا عن ممدوح آخر :

أشم شريكي يسير أمامه مسيرة شهر في كتائبه الرعب [٢]

أما أبو الطّيب فقد كرر هذا المعنى في عدة قصائد كقوله :

إذا ما لم تسر جيشا إليهم أسرت إلى قلوبهم الهلوعا [٣]

وفي قصيدة أخرى يقول عن ممدوحه انه :

بعثوا الرعب في قلوب الأعادي فكأن القتال قبل التلاقي [٤]

أما الخوف الذي يبثه الممدوح في الأشياء فيشمل حتى الليل وما يحتويه من موجودات ، يقول أبو تمّام :

فقد بث عبد الله خوف انتقامه على الليل حتى ما تدبّ عقاربه [٥]

اما ممدوح أبي الطّيب فقد أخاف حتى الريح والطير ، يقول :

تصدُّالرياح الهوج عنها مخافة ويفزع فيها الطير ان تلقط الحّبا [٦]

وتبلغ الرهبة والهيبة أقصى حدودها حين يصف أبو تمّام جيش الممدوح ، يقول أبو تمّام عن جيش المأمون :

مثعنجر لجب ترى سُلاّ فُه ولهم بمنخرق الفضاء زحام

ملأ الملا عُصبا فكاد بأن يرى لا خلف فيه ولا له قدّام [٧]

ويقول أبو الطّيب واصفاً جيش الروم المتحالف ليصف هيبة من يجابه هذا الجيش :

خميسٌ بشرق الأرض والغرب زحفه وفي أذن الجوزاء منه زمازم [٨]

وثمة وصف وتصوير قديم للجيش وعلاقته بالطيور الجارحة ، ذكرته معظم كتب النقد القديمة في باب السرقات او ما شابه وهو يبدأ من قول الأفوه الأودي :

وترى الطير على آثارنا رأي عينٍ ثقة ان ستمارُ [٩]

والنابغة :

إذا ما غزا بالجيش حلّق فوقه عصائب طيرٍ تهتدي بعصائبِ

---

[١]. الديوان : ١ / ٥٩ .
[٢]. نفسه : ١ / ١٨٩ ، ٢ / ١٦٩ .
[٣]. التبيان : ٢ / ٢٥٧ .
[٤]. نفسه : ٢ / ٣٦٦ .
[٥]. الديوان : ١ / ٢٢٩ .
[٦]. التبيان : ١ / ٦٧ .
[٧]. الديوان : ٣ / ١٥٥ .
[٨]. التبيان : ٣ / ٣٨٤ .
[٩]. الوساطة بين المتنبي وخصومه ، القاضي علي عبد العزيز الجر جاني ، تحقيق وشرح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، علي محمد البجاوي ، دار القلم ، بيروت – لبنان ، ١٩٦٦ ، ص ٢٧٤ .

وحميد بن ثور :

اذا ما غدى يوما رأيت غمامة من الطير ينظرن الذي هو صانع

وأبو نواس :

تتـــأبى الطيـــر غدوتـــه ثقـــة بالشـــبع مـــن جـــزره

أما أبو تمّام فيأخذ هذا المعنى فيقول عن جيش ممدوحه :

وقد ظللت عقبان أعلامه ضحىً بعقبـانِ طيـرٍ فـي الـدماء نواهـل

أقامت مع الرايات حتى كأنهـا مـن الجـيش إلاّ انهـا لـم تقاتـل[1]

فماذا أضاف الى هذه اللوحة او الصورة ؟ لقد أضاف (الضوء) في قوله (ظللت ..... ضحىً) وكأنه أومأ الى الشمس التي حُجِبَتْ ، وهو ما أخذه أبو الطّيب ليولد معنى جديداً وإضافةً جديدة في قوله ذاكراً الشمس وعلاقتها مع هذا الجيش الزاحف في قصيدة :

إذا ضوؤها لاقى من الطير فرجة تدوّر فوق البيض مثل الدراهم [2]

أما المعنى الثاني الذي أضافه أبو تمّام الى تلك اللوحة القديمة فهي انه عَيَّن نوع الطير الجارح الذي يتبع الجيش الزاحف وهو (العقبان) ، ليس هذا فقط ، بل قال ان هذه العقبان (نواهل) وهو ما يعدّه الآمدي خطأً من أخطاء معانيه ، فالعقبان وسائر الجوارح من الطير " لا تشرب الدماء ، وانما تأكل اللحوم " [3] ، ولكن أبا الطّيب تبنى هذه الفكرة وبنى عليها بيته الذي يقول فيه :

سحاب من العقبان يزحف تحتها سحاب اذا استسقت سقتها صوارمه [4]

فجعل العقبان تستقي مما أثار عليه جدلا واعتراضا [5] . وما نريد ان نقول من هذا كله ان أبا الطّيب لم يتأثر إلا أبا تمّام في هذا المعنى المطروق ولم يثق إلا بخيال أبي تمّام فأخذ المعنى منه وتمت اللوحة على يديه تماماً .

ومعاني الهيبة الأخرى التي تواطأ عليها الشاعران كثيرة . منها ان الدهر رهن إشارة الممدوح وبذلك فالممدوح يستطيع ان يتحكم في مصير الشاعر وان يجلب اليه الإحسان او يجنبه الإساءة ، وهذا المعنى – مع كل المبالغة التي فيه – يدل على سطوة لا حدَّ لها من الممدوح ، يقول أبوتمّام ممخاطباً ممدوحه :

مـرْ دهـره بـالكف عـن جنباتـه فالـدهر يفعـل صـاغراً مـا تـأمره [6]

اما أبو الطّيب فيخاطب ممدوحه قائلاً :

ارد لي جميلاً جدت او لم تجد به فانـــك مـــا أحببـــت فـــيَّ اتـــاني [7]

---

[1]. الديوان : ٣ / ٨٢ .
[2]. التبيان : ٤ / ١١٤ .
[3]. الموازنة : ١/ ٢٥٥ .
[4]. التبيان : ٣ / ٣٣٨ .
[5]. الوساطة ، ص ٢٧٥-٢٧٦ .
[6]. الديوان : ٢ / ٢١٢ .
[7]. التبيان : ٤ / ٢٤٧ .

فالممدوح بجوده وبأسه هو وحده الذي يعوض الشاعر عن خساراته في حياته وهو الذي يستطيع ان يصلح بينه وبين الأيام ، يقول أبو تمّام :

نوالـــك ردّحســـادي فلـــولاً واصــلح بــين أيــامي وبينــي [١]

ويقول أيضاً :

كثرت خطايا الدهر فيَّ وقد يرى بنـداك وهـو الـي منهـا تائـب [٢]

اما أبو الطّيب فيصف حاله السيء ، لكنه يأمل من ممدوحه ان يسمع :

حـالاً متـى علـم ابـن منصـور بهـا جـاء الزمـان الـي منهـا تائبـاً [٣]

ويقول لممدوح اخر :

أزالــت بــك الأيــام عتبــي كأنّمــا بنوها لها ذنب ، وانت لها عذر [٤]

اما اذا استظل الشاعر بظلّ الممدوح فقد أمن من النوائب كلها واصبح في مكان مكين وفي حصنٍ حصينٍ ، يقول أبو تمّام :

اذا العـيس لاقـت بـي ابـا دلـف فقـد تقطـع مـا بينـي وبـين النوائـب [٥]

ويقول أبو الطّيب عن ممدوحه :

يــُذللزمــان الجمــع بينــي وبينــه لتفريقــه بينــي وبــين النوائــب [٦]

أما إذا سطا الممدوح فسطوته هائلة ، حتى ان الروم قد ذلوا للقائد العربي أبي سعيد محمد بن يوسف الطائي الى ان :

لــم تبــقَمشــركة الا وقــد علمــت ان لـم تتـب انـه للسيف مـا تلـد [٧]

اما ممدوح أبي الطّيب شجاع بن محمد الطائي فقد قال عنه أبو الطّيب انه :

أعطــى فقلــت : لجــوده مــا يقتنــى وسطاً ، فقلت : لسيفه مـا يولد [٨]

وهذه المبالغة جعلت ابا الفتح بن جني يقول : " ... فكأنه هجا الرجل ، وجعله يقتل من صادف بلا معنى يوجب القتل " [٩] ، وهذا فهم حرفي للشعر وعدم استيعاب لمذهب الشاعر في رسم او التقاط صور مكبرة ووضعها في إطار لا يحد بأضلاع ، وهذا ما تعلمه أبو الطّيب من أبي تمّام ، فانه يُهوّل في الأشياء ويمررها على خياله ، فالشاعران – حين المدح – يغمضان أعينهما عن الممدوح، وتلوح أمامهما أطياف وأشباح (المثل الأعلى) ، وهذا هو معنى ما قاله بعض الباحثين من أنَّ أبا تمّام يمدح المثل الأعلى للحضارة العربية " أكثر مما يمدح تلك الأسماء التي يمتلئ بها ديوانه "

---

[١]. الديوان : ٣ / ٣٠٧ .
[٢]. الديوان : ١ / ١٧٥ .
[٣]. التبيان : ١ / ١٢٥ .
[٤]. نفسه : ٢ / ١٥٩ .
[٥]. الديوان : ١ / ٢٠٣ .
[٥]. التبيان : ١ / ١٥٧ .
[٧]. الديوان : ٢ / ٢٠ .
[٨]. التبيان : ١ / ٣٣٢ .
[٩]. التبيان : ١ / ٣٣٢ .

[1] ، وإلا فمهما بلغ الممدوح من السطوة فانه لا يقال فيه ما قال أبو تمّام في محمد بن بن يوسف الثغري الطائي :

فما تترك الأيام من هو آخذ ولا تأخذ الأيام من هو تارك [2]

او ما قاله أبو الطّيب في الحسين بن اسحق التنوخي :

فما ترزق الأقدار من أنت حارم ولا تحرم الأقدار من أنت رازق

ولا تفتق الأيام ما أنت راتق ولا ترتق الأيام ما أنت فاتق[3]

والممدوح – رغم هذا متواضع [4] عند أبي تمّام ، وكذلك ممدوحو أبي الطّيب فهم متواضعون " على عظيم الشان " [5] ، فالممدوح (جامع الأضداد) عند الشاعرين ، فهو ربيب ملوك لكنه ربيب صعاليك أيضا عند أبي تمّام [6] ، وكذلك هم بنو حمدان عند أبي الطّيب فهم متصلعكون " على كثافة ملكهم " [7] ، وممدوح أبي تمّام :

هو للوفيِّ العهد ظل أراكة ولمضمر الشنآن شوك عضاه [8]

وكذا هو أبو الطّيب :

متفرق الطعمين مجتمع القوى فكأنَّه السراء والضراء [9]

ويفصل في هذا الإجمال ويقول انه :

مذل الأعزاء المعزّ وإن يئن به يتمهم فالموتم الجابر اليتم [10]

رابعاً : العقل

وهذه الصفة عند الشاعرين تتفرع الى عدة فروع ، منها ان ممدوح أبي تمّام سياسي بل هو " قشعم السياسة " [11] ، وهو عند أبي الطّيب معلِّم السياسة [12] ، وهو صاحب رأي صليب [13] عند أبي تمّام ، وكذا هو عند أبي الطّيب [14] ، وهو لحلمه ذو صدر واسع ، يقول أبو تمّام :

---

[1]. أبو تمّام وقضية التجديد في الشعر ، ص ٦٨ .
[2]. الديوان : ٢ / ٤٦٢ .
[3]. التبيان : ٢ / ٣٤٩ .
[4]. الديوان : ٢/ ١٧٤ ، ٣/ ٣٧ .
[5]. التبيان : ٤/ ١٧٩.
[6]. الديوان : ٢/ ٤٦٣.
[7]. التبيان : ٤/ ١٧٩ .
[8]. الديوان : ٣/ ٣٤٩ ، ١/ ٧٩ .
[9]. التبيان : ٢٥/١ .
[10]. نفسه : ٤/ ٥٣ ، ٤/ ٧٥ .
[11]. الديوان : ٢/ ١٦٨ .
[12]. التبيان : ٤/ ١٣٨ .
[13]. الديوان : ١/ ٦٢ ، ٢/ ١٨٨ .
[14]. التبيان : ٤/ ٢٣ .

ورحب صدر لو أن الأرض واسعة كوسعه لم يضق عن أهله بلد [1]

وهو عند أبي ا لطّيب :

تضيقُ عن جيشه الدنيا فلو رحبت كصدره لم تبن فيها عساكره [2]

لكن أهم ما تخيلّه الشاعران لممدوحيهما أنه (ملهم) أو ما يقرب من الإلهام أو يكاد ، يقول أبو تمّام :

فلو صح قول الجعفرية في الذي تنص من الإلهام خلناك ملهما [3]

أما أبو الطّيب فهو أقل احتراسا من أبيتمّ امأكثر إيغالا حين يقول عن ممدوحه :

نورٌ تظاهر فيك لاهوتية فتكاد تعلم علم ما لن يعلما [4]

أو يقول عن سيف الدولة :

تجاوزت مقدار الشجاعة والنهى إلى قول قوم أنت بالغيب عالِمُ [5]

وما هؤلاء القوم إلا أبو الطّيب !

أما العفو الذي هو شعبة من الحلم ومن العقل فهو صفة الممدوح الغالبة فهو على بطشه وبأسه حليم يعفو عن أعدائه إذا لم يحاربوه إلا بسلاح الخضوع والإقرار بالذنب ، يقول أبو تمّام عن الخليفة المعتصم بالله :

وكم ناكث للعهد قد نكثت به أمانيه واستخذا لحقك باطله

فأمكنته من رمة العفو رأفة ومغفرة إذ أمكنتك مقاتله

وحاط له الإقرار بالذنب روحه وجثمانه إذ لم تحطه قبائله[6]

ويقول أبو الطّيب عن سيف الدولة والقبائل الخارجة عليه :

لوفد نمير كان أرشد منهم وقد طرد الاظعان طرد الوسائق

أعدوا رماحا من خضوعٍ فطاعنوا بها الجيش حتى ردّغرب الفيالق[7]

والممدوح لانه قد بلغ الغاية من العقل والثقة بالنفس ورباطة الجأش في أحلك الأحوال واصعب الظروف يقول أبو تمّام عنه انه يبقى في تلك الظروف

متهللا في الروع منهلاّ إذا ما زند اللحز الشحيح وصرّدا [8]

وانه :

يقظ إذا ما المشكلات عروَنه ألفيته المتبسم البهلولا [9]

---

[1]. الديوان : ٢/ ١٢ .
[2]. التبيان : ٢/ ١٢٠ .
[3]. الديوان : ٣/ ٢٤٢ .
[4]. التبيان : ٤/ ٣١ .
[5]. نفسه : ٣/ ٣٨٧ .
[6]. الديوان : ٣/ ٢٧ .
[7]. التبيان : ٢/ ٣٣١.
[8]. الديوان : ١٠٤/٢ .
[9]. نفسه : ٣ / ٧٠ .

وهذا هو نفسه ممدوح أبي الطّيب الذي يخاطبه قائلا :

تمـر بـك الأبطـال كلمـى هزيمـة ووجهـك وضـاح وتغـرك باسـم [1]

أما ذكاء الممدوح فهو أعجوبة من الأعاجيب بل هو متوقد حتى يكاد يتوقد منه الزمان يقول أبو تمّام عنه

متوقـد منـه الزمـان وربمـا كـان الزمـان بـآخرين بليـدا [2]

أما أبو الطّيب . فيشفق على الممدوح من هذا الاتقاد ويقول :

أشـفق عنـد اتقـاد فكرتـه عليـه منهـا أخـاف يشـتعل [3]

أما حين يكون الممدوح من (أرباب الأقلام) ويرسل للشاعر رسالة (كتابا) فان تأثيره يكون عظيما في الشاعر حتى ليقول أبو تمّام :

لقـد جلـى كتابـك كـل بـث جـو وأصـاب شـاكلة الرمـي [4]

أما ألفاظه ومعانيه :

فكـائن فيـه مـن معنـى خطيـر وكـائن فيـه مـن لفـظ بهـي [5]

أما أبو الطّيب فيقول عن كتاب الممدوح :

بكتـب الأنـام كتـاب ورد فـدت يـد كاتبـه كـل يـد [6]

أما ألفاظه :

إذا سـمع النـاس ألفاظـه خلقـن لـه فـي القلـوب الحسـد [7]

ويبلغ التأثير والاحتذاء بأبي الطّيب أن يصف القلم الذي وصفه أبوتمّام من قبل وهذا ما سنتعرض له في فصل قادم .

خامساً : الجمال – (الحب) :

لم يكن (المثل الأعلى) عند الشاعرين ، شجاعاً كريماً عاقلاً مهيباً فقط ، بل كان جميلاً أيضا ، يقول أبو تمّام عن الخليفة الواثق بالله :

إنـا رحلنـا واثقـين بواثـق بـالله شـمس ضـحىً وبـدر تمـام [8]

ومثل هذا قال لممدوحهِ خالد بن يزيد الشيباني راثياً له [9] ، ومادحاً له في حياته قائلا عنه انه :

كالبـدر حسـناً وقـد يعـاوده عبـوس ليـث العـرين فـي عبـده [10]

---

[1]. التبيان : ٣/ ٣٨٧ ، ٢/ ٥٢ .
[2]. الديوان : ٢/ ٤٢٠ .
[3]. التبيان : ٣/ ٢١٣ .
[4]. الديوان : ٣/ ٣٥٥ .
[5]. نفسه : ٣/ ٣٥٥ .
[6]. التبيان : ٢/ ٥٨ .
[7]. نفسه : ٢/ ٥٨ .
[8]. الديوان : ٣/ ٢٠٤ ، ٢٠٧ .
[9]. نفسه : ٤/ ٢٤ .
[10]. نفسه : ١/ ٤٤٠ .

ويجتمع الحسن والشجاعة في الممدوح كما في قول أبي تمّام :

فتى من يديه البأس يضحك والندى وفي سرجه بدر وليث غضنفرُ [1]

وهذه الصفة وان لم ترض ناقدا مثل قدامة بن جعفر الذي لا يعد المدح مدحا إلا بالفضائل النفسية للممدوح " لا بما عرضي فيه " [2] ، ولكن ناقدا مثل الامدي الذي الذي يستند إلى الذوق العربي يقول ان جمال الوجه وحسنه " ممّا يجب المدح به ، فان الوجه الجميل يزيد في الهيبة ، ويتيمن به العرب ... " [3] ، ويسير أبو الطّيب على نهج أبي تمّام ويمدح بالجمال وقد " يستغرب العقل الحديث جعل المتنبي عظيمة جميلا ، لا معنويا فقط بل جسميا أيضا " [4] ، ولا غرابة في ذلك فهو يقتدي بابي تمّام الذي فهم تماما ما هو المثل الأعلى عند العرب ، ولكن أبا الطّيب يزيد في المبالغة ويتوغل اكثر في هذه المبالغة ، فهو لا يكتفي بان يكرر معاني أبي تمّام من إن الممدوح في عشيرته " شمس ضحاها ، هلال ليلتها " [5] ، ولا بان ينسب الجمال والحسن إلى ممدوحيه ويجعلهما معادلين لعظم الشأن والعلم والمجد في قوله للقاضي أبي الفرج احمد الحسين :

وما حارت الأوهام في عظم شأنه بأكثر مما حار في حسنهِ الظرف [6]

وفي قوله مخاطبا أبا الفضل بن العميد :

جعلت وداعي واحدا لثلاثة جمالك والعلم المبرّح والمجد [7]

بل هو يشبه جمال ممدوحه بجمال النبي يوسف [8] ، ويخاطب ممدوحه الحسين الحسين بن اسحق التنوخي بقوله :

خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت ذابت في الخدور العواتق [9]

فضلاً عن انه يقرن الشجاعة والجمال في قرن - كأبي تمّام – حين يقول :

قد حرن في بشر في تاجه قمر في درعه أسد تدمى أضافره [10]

ولم يكتف أبو تمّام بوصف ممدوحه بالجمال بل قارب بين النسيب والتشبيب وبين المدح بل فوق المديح على التشبيب في قوله عن ممدوحه محمد بن يوسف الثغري انه :

طاب فيه المديح والتذ حتى فاق وصف الديار والتشبيبا

لو يفاجا ركن النسيب كثير بمعانيه خالهنَّ نسيبا [1]

---

[1]. نفسه : ٢/ ٢١٥ .
[2]. نقد الشعر ، ص١٨٤ .
[3]. الموازنة : ٢/ ٣٦٨ .
[4]. المحصول الفكري للمتنبي ، ص١٥٨ .
[5]. التبيان : ١/ ٣٠٦ .
[6]. التبيان : ٢/ ٢٨٧ .
[7]. نفسه : ٢/ ٦٩ .
[8]. نفسه : ٣/ ١٩٥ .
[9]. نفسه : ٢/ ٣٤٩ .
[10]. نفسه : ٢/ ١١٩ .

ويخاطب ممدوحه بلغة وأسلوب العاشقين في قوله :

أنـا ولهـان فـي ودادك مـا عشـت ونشـــوان فيـــك غيـــر مفيـــق [٢]

بل يخاطبه بأسلوب ومعانٍ أشبه بأسلوب المتصوفة المتواجدين :

وولهـت مـذ زمـت ركابـك للنـوى فكـأنني مـذ غبـت عنـي غائـب [٣]

ويخاطب ممدوحا مثل احمد بن أبي دواد – على مكانته – مخاطبة الصديق :

يـا احمـد بـن أبـي دُوادٍحُطتنـي بحيـــاطتي ولـــددتني بلـــد ودي

ومنحتنـــي ودا حميـــت ذمـــاره وذمامـــه مـــن هجـــرة وصـــدود

ولكـــم عـــدو قـــال لـــي متمـــثلا كـــم مـــن ودودٍلـــيس بـــالمودود[٤]

وبهذا وغيره فتح الباب على مصراعيه لأبي الطّيب لأن يخاطب كافوراً ممدوحه بقوله :

أنـت الحبيـب ولكنّـي أعـوذ بـه مـن أن أكـون حبيبـاً غيـر محبـوب [٥]

وأن يخاطب عضد الدولة بقوله :

أروح وقـد ختمـت علـى فـؤادي بحبـــك أن يُحِـــلّ بـــه ســـواكا [٦]

وقبلهما خاطب سيف الدولة بهذه اللغة :

مـا لـي أكتم حبـا قـد بـرى جسـدي وتـدعي حـب سـيف الدولـة الأمـم [٧]

وليس صحيحا ما ذهب إليه بعض المصنفين القدماء من أن هذا المذهب وهو مخاطبة الممدوح مثل مخاطبة المحبوب والصديق هو مذهب لأبي الطّيب " تفرد به " [٨] ، وقد قدمنا أمثلة على سبق أبي تمّام اليه ولكن ما فعله أبو الطّيب – كما يفعل عادة – هو الزيادة والايغال حتى يبدو أحيانا وكأنه يريد امتلاك الممدوح كما يمتلك الحبيب حبيبه وهذا ما نلمسه من غيرته على الممدوح حتى من الجمادات في قوله في علي بن إبراهيم التنوخي :

أغـار مـن الزجاجـة وهـي تجـري علـى شـفة الأميـر أبـي الحسـين [٩]

وهذا ما دعا القاضي الجرجاني الى استهجان هذا المعنى " لأن هذه الغيرة إنما تكون بين المحب ومحبوبه ، فأما الأمراء والملوك فلا يغار على شفاههما " [١٠]، ومثل هذه الظاهرة أخرى مشابهة وهي " استعمال ألفاظ الغزل والنسيب في أوصاف

---

[١]. الديوان : ١/ ١٦١ .
[٢]. نفسه : ٢/ ٤٤٥ .
[٣]. الديوان : ١/ ١٧٦ .
[٤]. نفسه : ١/ ٣٩١ ، ١/ ٢٨٠ ، ٤/ ١٣٥ .
[٥]. التبيان : ١/ ١٧٦ .
[٦]. نفسه : ٢/ ٣٨٧ .
[٧]. نفسه : ٣/ ٣٦٤ .
[٨]. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، أبو منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري ، شرح وتحقيق: د. مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٣ ، ١/ ٢٣٧ .
[٩]. التبيان : ٤/ ١٩٣ .
[١٠]. الوساطة ، ص ٣٠٨ .

الحرب والجد " نسبها الثعالبي الى أبي الطّيب ذاهباً الى انها " مما لم يسبق اليه ، وتفرد به " [1] ، وهذا غير صحيح أيضاً ، وقد تابعه في ذلك د. محمد مندور قائلا " وأول ما نلفت اليه النظر هو ما لاحظه صاحب اليتيمة نفسه من ان استخدام لغة الحب في المدح والحرب مذهب إنفرد به المتنبي ، وهذا حق ، لاننا لم نعهد ذلك من شعراء العرب جاهليين او إسلاميين " [2] ، ويبدو ان د. محمد مندور نسيَ تماماً قصيدة ((عمورّية) التي حولها خيال أبي تمّام الى فتاة عذراء ، فهي قد أعيت رياضتها كسرى وصدت صدودا عن أبي كرب وهي :

بكرٌ فما افترعتها كفُّ حادثة ولا ترقت إليها همّة النوب [3]

فهي بعد ان " كانت في ذهننا مدينة ، نراها تتحول الى فكرة الأمومة ثم البكارة " [4] ، وأي استعمال لألفاظ الغزل النسيب اكثر من ذكر هذه الأبيات :

ما ربع مَّية معموراً يُطيف به غيلان أبهى ربىً من ربعها الخرب
ولا الخدود وقد أُدمين من خَجَلٍ أشهى الى ناظر من خدها التربِ
سماجة غنيت منا العيون بها عن كل حسن بدا او منظرٍ عجب [5]

وهو ما يأخذه أبو الطّيب في قوله يصف قتلى أعداء سيف الدولة من الروم :

قد سوّدتْ شجر الجبال شعورهم فكأن فيه مسفة الغربانِ
وجرى على الورق النجيع القاني فكأنه النارنج في الأغصان [6]

والذي حسّن هذه المناظر هو " الانتصار ، ولقوة شعور أبي الطّيب به لم يحتج الى ان يفسره كما صنع أبو تمّام " [7] ، ومثل هذه الصورة ، صورة بشعة أخرى أخرى ينقلها أبو الطّيب من ساحة الحرب إلى باحة الدار الآمنة ومن ترح المعارك الى فرح الأعراس ، لأنها هكذا تبدو له يقول :

نثرتهم فوق الاحيدب نثرة كما نثرت فوق العروس الدراهم [8]

وهكذا نجد أنَّ أبا الطّيب يحاكي أباتمّ امفي جُلّ صفات المثل الأعلى ويضيف اليها من خياله وذكائه ، " فان كل شيء في شعر المتنبي يمكن ان يرد الى اصله في شعر أبي تمّام " [9] ، فما نتركهُعند أبي تمّام بذورا وجذورا وسيقانا نجده عند أبي

---

[1]. يتيمة الدهر : ١/ ٢٣٩ .
[2]. النقد المنهجي عند العرب ، ص٣١٥ .
[3]. الديوان : ١ / ٤٨ ، ١ / ١٢٢ .
[4]. أبو تمّام وقضية التجديد في الشعر ، ص ٢٣٠ .
[5]. الديوان : ١ / ٥٦ – ٥٧ .
[6]. التبيان : ٤ / ١٨٣ – ١٨٤ .
[7]. الطبيعة عند المتنبي ، د. عبد الله الطّيب ، الجمهورية العراقية - وزارة الإعلام ، دار الحرية للطباعة ، ١٩٧٧ ، ٣٠ .
[8]. التبيان : ٣ / ٣٨٨ .
[9]. أبو تمّام الطائي (حياته وحياة شعره) ، نجيب محمد البهبيتي ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٥ ، ص ٢٣٣ .

الطّيب أوراقاً وأزهاراً وثماراً ، فأبو الطّيب يتصرّف بـ (المثل الأعلى) تصرّ ف المقتدر ويعيد تركيبه فيعود كأنه شيءٌ جديد ، وهذا ما جعله اكبر شعراء المديح لا في العراق حسب " بل في كل البلدان العربية وفي كل العصور على الإطلاق " [١] .

[١]. الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف – مصر ، ١٩٧٧ ، ص ١٣٤ .

الفصـل الثالـــث

النزعـة العقليــة

- التشاؤم
- الخير والشرّ
- الطبع والتكلف

النـزعة العقليـة

قد لا يكون من قبيل المصادفة البحتة أن يكون أبو تمّام وأبو الطّيب المتنبي قد عاصرا – كُلٌّ في عصره – الفيلسوفين الرائدين الكندي (ت ٢٥٢هـ) والفارابي (ت ٣٣٩هـ) وهما فيلسوفان عقليان ، لُقّب الأول بـ (فيلسوف العرب) والثاني بـ " فيلسوف الإسلام " [١] ، عاش الكندي ردحاً من الزمن في ظل الخليفة المعتصم بالله ، وعاش الفارابي في أخريات حياته في ظل الأمير سيف الدولة الحمداني ، وربما – بسبب هذا القرب المكاني والزماني افترض بعض الباحثين قيام صلة شخصية بين أبي تمّام والكندي [٢] ، كما افترض بعض الباحثين قيام الصلة نفسها بين أبي الطّيب والفارابي [٣] ، أما صلة الشاعرين بـ (العقل) فقد أشادا به في أشعارهما ، كقول أبي تمّام :

لـم يـذعر الأيـام عنـك كمرتـدٍ بالعقل يفهم عن أخيه ويفهمُ [٤]

فهو يرى ان " العقل أحرز معقل " [٥] ، وان العقل تساس به الدنيا [٦] ، اما أبو الطّيب فيعدّالعقل هو الشرف الحقيقي للإنسان على غيره من المخلوقات :

لـولا العقـولُلكـان أدنـى ضـيغمٍ أدنى إلى شرفٍمن الإنسان [٧]

ويعدّهُ مصدر شقاء للأذكياء (وأولهم هو نفسه)، ولكنه مع ذلك لا يستطيع الفكاك منه ، بل لا يريد منه فكاكاً على ما نعتقد :

ذو العقـل يشـقى فـي النعـيم بعقلـهِ وأخـو الجهالـة فـي الشـقاوة ينـعمُ [٨]

ولكن كثيراً من القدامى ذهبوا الى ان الحكمة والفلسفة هي شيء غير الشعر ، لذلك فعلى الشاعر ان لا يتعمق فلسفياً في الشعر ، واذا جاء بالحكمة قيل له : " جئت بحكمة وفلسفة ومعانٍ لطيفة حسنة ، فان شئت دعوناك حكيماً ، او سميناك فيلسوفاً ، ولكن لا نسمّيك شاعراً ، ولا ندعوك بليغاً ، لان طريقتك ليست على طريقة العرب ، ولا على مذاهبهم " [٩] . إذن فقد ذهب هؤلاء النقاد القدامى الى " ان الشعر تصوير الأهواء لا الآراء ، فالأخبار والفلسفة والتبحر ليست من جوهره ولا من مادته " [١٠] ،

---

[١]. عبقرية العرب في العلم والفلسفة ، ص ١٣٢ .
[٢]. كتاب أرسو طاليس في الشعر ، تحقيق : د. شكري محمد عياد ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ٢٨٠ .
[٣]. ثقافة المتنبي وأثرها في شعره ، ص ١٩٤ – ١٩٥ .
[٤]. الديوان : ٣ / ٢١٧ .
[٥]. المصدر نفسه : ٣ / ٤٥ .
[٦]. المصدر نفسه : ٤ / ٥٤٨ .
[٧]. التبيان : ٤ / ١٧٤ .
[٨]. المصدر نفسه : ٤ / ١٢٤ .
[٩]. الموازنة : ١ / ٤٢٥ .
[١٠]. تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، الأستاذ طه أحمد ابراهيم ، ص ١٦٠ .

وأبـو تمّـام " أتـى فـي شـعره بمعـانٍ فلسـفية " [١] ، وأبـو الطّيب " قـد أتـى فـي شـعره بـأغراض فلسفية ... " [٢] ، وهـو قـد خـرج فـي بعـض أبياتـه " عـن رسـم الشـعر الـى طريق الفلسفة " [٣] ، وقد قيل عن أبي تمّام إنّه " عالمٌ غلب عليه الشعر " [٤] ، وينسب وينسب الى أبي الطّيب أنّه قال " أنا وأبو تمّام حكيمان " [٥]، وقد أشتهر أبو تمّام وأبو الطّيب بالحكمة والأمثال ، حتى أحصى أحد المتتبعين في القديم الحكمة التي يتمثل بها من شعر أبي تمّام وتجري على السنة الخاصة وكثير من العامة فوجدها " مائة وخمسين بيتا " ، وعلق على ذلك بقوله : " ولا اعرف شاعراً جاهليا ولا إسلاميا يتمثل له بهذا المقدار من الشعر " [٦] ، أما أبو الطّيب فقد ألّف الصاحب بن عّباد في أمثاله كتاباً قال المؤلف في مقدمته : " وهذا الشاعر مع تميزه وبراعته ، وتبريزه في صناعته، له في الأمثال خصوصا مذهب سبق به أمثاله " [٧] .

وقبل ان نتعرّض لآراء الشاعرين المشتركة (دليلاً على التأثر والتأثير) يجب ان نجيب عن سؤال يلح على مسامعنا وهو : من أين أتى الشاعران بكل هذه الحكمة والأمثال ؟ وما هو سببها ومصدرها ؟ وهل يكفي الذكاء الخارق لهذين الشاعرين باستخلاص هذه الحكم والأمثال ؟ واذا كلفنا بالإجابة او تكلفناها فاننا نقول : لقد أجمع جلّ الباحثين المحدثين (وربما كلهم) على ان الحكمة والأمثال لدى أبي تمّام هي " ثمرة علم غزير وخبرة طويلة وتجربة واسعة " [٨] ، وقد لمح أحد الباحثين البا حثين ان لكل حكمة لأبي الطّيب " أصلا تاريخيا في قلب هذا الشاعر الذي لم يكن قلبه ينسى شيئا او يفلته " [٩] ، فهو حين يقول الحكمة او المثل " تتراءى تحت عينيه ، ، وبدوي في مسمعيه كل ما مر به مما اثر فيه ، فيقول البيت وفي كل لفظة منه سبب

---

[١] . الموازنة : ١ / ٢٧ ، ١ / ٤ .

[٢] . الرسالة الحاتمية من كتاب (نصوص النظرية النقدية في القرنيين الثالث والرابع للهجرة، د.جميل سعيد ، د. داود سلوم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، وزارة الثقافة والاعلام ، العراق ـ بغداد ، ط ٢ ، ١٩٨٦، ص ٣٢٥) .

[٣] . الوساطة ، ص ١٨٢ وينظر يتيمة الدهر : ١ / ٢١٤ .

[٤] . البديع في نقد الشعر ، أسامة بن منقذ ، تحقيق : د. أحمد أحمد بدوي ، د. حامد عبد المجيد ، مكتبة ومطبعة مصطفى بابي الحلبي بمصر ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٤٧ .

[٥] . المثل السائر : ٣ / ٢٧٠ .

[٦] . مروج الذهب ومعادن الجوهر ، المسعودي ، تحقيق : شارل بلا ، منشورات الجامعة اللبنانية ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ٤ / ٣٦٨ .

[٧] . الأمثال السائرة من شعر المتنبي والروزنامجة ، تحقيق : الشيخ محمد حسن آل ياسين ،مكتبة النهضة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٦٥ ، ص٢٢ .

[٨] . في الأدب العباسي ، محمد مهدي البصير ، مطبعة النعمان – النجف الاشرف ، ط٣ ، ١٩٧٠ ، ص٢١٩ .

[٩] . المتنبي رسالة في الطريق الى ثقافتنا ، محمود محمد شاكر ، ص٢٥١ .

ممدود الى ذكرى يذكرها او فكرة يتخيلها... " [1] اذن فمصدر الحكمة عند الشاعرين هو (التجربة والخبرة) وقد أشار الى ذلك الشاعران نفساهما ، يقول أبو تمّام عن تجاربه مع الحياة والناس والدهر :

لقد جربت هذا الدهر حتى ... أفادتني التجارب والعناء [2]

ويقول أيضاً :

كم ذقت في الدهر من عسر ومن يسر ... وفي بني الدهر من رأس ومن ذَنَب [3]

ويقول :

أنضيتُ في هذا الأنام تجاربي ... وبلوتهم بمفحَّصات مذاهبي [4]

ويقول أبو الطّيب في هذا المعنى أيضاً :

إذا ما الناس جربهم لبيب ... فإني قد أكلتَهُمُ وذاقا [5]

ويقول أيضاً :

وما تسع الأزمان علمي بأمرها ... ولا تحسن الأيام تكتب ما أملي [6]

ويقول :

ومن عرف الأيام معرفتي بها ... وبالناس روَّى رمحه غير راحم [7]

فأبو تمّام لم يقبع في مسقط رأسه ولم ينعزل عن العالم العربي والإسلامي في زمانه ، بل جال في أقطاره وجاب بلدانه ، ووصف نفسه بأنه :

خليفة الخضر من يربع على وطن ... في بلدة فظُهور العيس أوطاني [8]

ويقول عن أسفاره وتقلبه في البلاد مخاطبا صاحبته :

سلي هل عمرت القفر وهو سباسب ... وغادرت ربعي من ركابي سباسبا
وغرّبت حتى لم أجد ذكر مشرقٍ ... وشرّقت حتى قد نسيت المغاربا[9]

وهو من ملازمته للفلوات صار :

أخا الفلوات قد أحيا وأردى ... ركابا في صحاصحها وركبا
فكاد بأن يرى للشرق شرقا ... وكاد بأن يرى للغرب غربا[10]

وبعد هذا الاغتراب وهذه الأسفار يخلص الى حكمة ومثل يسير كل مسار (بعد ان جرعه البين نقيع الحنطل) :

---

[1]. المصدر نفسه .
[2]. الديوان : ٤/ ٢٩٦ .
[3]. المصدر نفسه : ٤/ ٥٤٨ .
[4]. المصدر نفسه : ٤/ ٣١٧ .
[5]. التبيان : ٢/ ٣٠٣ .
[6]. التبيان : ٣/ ٥٢ .
[7]. المصدر نفسه : ٤/ ١١٢ .
[8]. الديوان : ٣/ ٣٠٨ .
[9]. المصدر نفسه : ١/ ١٤٠ .
[10]. المصدر نفسه : ٤/ ٣٠٣ .

عَلّل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلاّ للحبيب الأول
كم منزل للأرض يألفه الفتى وحنينه أبدا لأول منزل[1]

وهذا هو معنى ان أبا تمّام قال حِكَمَهُ عن تجربة واسعة ، أمّا أبو الطّيب فهو أيضا ممن هام بالأسفار وممن حُبِّبَ إليه الاغتراب ، فرأى وسمع ، ولمس وأحسّ كل ما كان في عصره ، فهو لم يؤثر العزلة والانكفاء والحبس في داره ، بل سافر مكتشفاً ومستطلعاً ، مجرباً ذا خبرة يقول أبو الطّيب عن رحلاته :

ألفت ترحلّي وجعلت أرضي قتودي والغريري الجلالا
فما حاولتُ في أرض مقاماً ولا أزمعتُ عن أرضٍ زوالا
على قلقٍ كأن الريح تحتي أوجهها جنوباً أو شمالاً[2]

ويقول في صباه :

أبداً أقطع البلاد ونجمي في نحوس وهمتي في سعود[3]

وهذه التجربة الحيوية التي تصاغ شعراً وتنقل الى الآخرين بصدق وحرارة هي الفارق الكبير بين حكمة أبي تمّام وأبي الطّيب ، وحكمة صالح بن عبد القدوس وسابق البربري وأبي العتاهية ، فحكمة هؤلاء الشعراء هي حكمة مجردة ليس فيها تجربة شخصية او لم تصدر عن انفعال بل هي " تعليم في تعليم " [4] .

أما أبو الطّيب (خاصة) فقد جعل " من الحكمة شعراً " [5] ، فالحكمة يمكن ان ان تكون شعراً بل شعرٌ يفوق كل شعر ، وكلمة (حكيم) لا تتناقض أبداً مع كلمة (شاعر) اذا كان الشعر تجربة إنسانية خالدة ، يقول (مارك فان دورن) : " اننا نعبد شكسبير لانه حكيم لانه يعطي عالم الناس قيمته الحقة في كتاباته ، وقد كان هذا هو السبب في ان الإغريق كادوا يعبدون هوميروس ، وانهم حفظوا أقواله عن ظهر قلب " [6] ، وبعد هذا الكلام عن التجربة ، نقول ان التجربة لا تتناقض ولا تتنافى مع التأثر التأثر أبداً بل هي جزء منه او قسيم له ، فوراء الرأي الشخصي " صاحبه وتجاربه وثقافته وموقفه وكل ما اكتسب من خبرات ونستطيع ان نضيف ما نشاء ، ووراء النص : كل النصوص التي قرأها الناص وتمثلها واستقرت في الذاكرة وبدأت تؤدي مهامها في الوعي واللاوعي " [7] ، وإلا فمن ينكر ان شطر الحكمة عند أبي الطّيب :

* ومنفعة الغوث قبل العطب [8] .

---

[1]. المصدر نفسه : ٤/ ٢٥٣ .
[2]. التبيان : ٣ / ٢٢٤ ـ ٢٢٥ .
[3]. المصدر نفسه : ١ / ٣٢٠ .
[4]. مقدمة في النقد الأدبي ، د. علي جواد الطاهر ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٩ ، ص١١٨ .
[5]. المصدر نفسه ، ص١٢١ .
[6]. الأديب وصناعته ، ص ٢٢٨ .
[7]. المتاهات ، د. جلال الخياط ، دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٠ ، ص ١١ .
[8]. التبيان : ١ / ١٠٢ .

مستخلص من قول أبي تمّام :

وما نفع من قد مات بالأمس صادياً إذا ما سماء اليوم طال انهمارها [1]

وكثيراً ما استخلص أبو الطّيب ولخص أبياتاً لأبي تمّام وصاغها في حكمة، كهذه الحكمة او المثل :

وإذا ما خلا الجبان بأرضٍ طلب الطعن وحده والنزالا [2]

والتي يقول عنها طه حسين إنّ كاتبين من الغرب أحدهما (سرفنتس) في قصته المشهورة (دون كيشوت) قد تناولا هذه الفكرة و" لم يزيدا على ان شرحا قول المتنبي " [3] ، وهذه الفكرة نجدها عند أبي تمّام في هذه الأبيات هاجياً (عتبة بن أبي عاصم) ، يقول أبو تمّام في خطاب مهجوه :

يا عتبة بن أبي عُصيمٍ دعوةً شنعاء تصدم مسمعيك فتصعق
اخرست إذا عاينتني حتى إذا ما غبت عن بصري ظللت تشَّقُ
وكذا اللئيم يقول ان نأت النوى بعدوه ويحول ساعة يصدق
عير رأى أسد العرين فهاله حتى إذا ولى تولى ينهق [4]

ومثل هذا يلخص أبو الطّيب بيتي أبي تمّام :

وقد يكهم السيف المُسمّى منيةً وقد يرجع المرء المظفَّر خائباً
فآفة ذا ألاَّ يصادف مضرباً وآفة ذا لا يصادف ضارباً [5]

فيقول :

وما تنفع الخيل الكرام ولا القنا إذا لم يكن فوق الكرام كرام [6]

وقد يركب أبو الطّيب شطري بيته من بيتين لأبي تمّام من قصيدتين كقوله :

أرى أناساً ومحصولي على غنمٍ وذكر جودٍومحصولي على الكلم [7]

فالشطر الأول هو من بيت أبي تمّام :

لا يدهمنك من دهمائه م عددٌ فان جلّهم بل كلّهم بقرُ [8]

فقد حول أبو الطّيب الـ (بقر) ا لى (غنم) كما حول الـ (قول) الى (كلم) في الشطر الثاني وهو من قول أبي تمّام :

ملقى الرجاء وملقى الرحل في نفرٍ الجود عندهم قولٌ بلا عملِ [1]

---

[1]. الديوان : ٤ / ٤٦١ .
[2]. التبيان : ٣ / ١٤٣ .
[3]. جنة الشوك ، طه حسين ، دار المعارف ـ مصر ، ١٩٦٢ ، ص ٦٥ .
[4]. الديوان : ٤ / ٣٩٥ .
[5]. الديوان : ١ / ١٤١ .
[6]. التبيان : ٣ / ٣٩٤ .
[7]. المصدر نفسه : ٤ / ٣٩ .
[8]. الديوان : ٢ / ١٨٦ .

وأحياناً يستخلص أبو الطّيب حكمةً من صورة يأتي بها أبو تمّام كقوله واصفاً قصيدته بأنها :

كالـدرِّ والمرجـان ألـف نظمـه بالشـذر فـي عنـق الفتـاة الـرّ ود[٢]

فقد أوحى أبو تمّام بهذا البيت لأبي الطّيب ـ كما أوحى لأي قارئ آخر ـ ان الدرّ والمرجان حين يكون عقداً او قلادة فانه يزداد تألّفاً وتألقاً حين يكون في عنق الفتاة الحسناء ... ، وهذا ما يأخذه أبو الطّيب ويأتي به واضحاً حين يقول واصفاً شعره الذي قلده ممدوحيه بانه اصبح في مكانه ، كما ان جمال العقد يكون في مكانه في عنق الجميلة من الفتيات :

وأصبح شعري منهما في مكانه وفي عنق الحسناء يستحسن العقدُ[٣]

ومثل هذا حين يقول أبو تمّام حكمةً فيها بعض الغموض ، وربما كان مصدر الغموض هو ان أبا تمّام لم يضرب لحكمته مثالاً أو لم يجنح إلى الإقناع الكافي حين يقول :

هو الصنع ان يعجل فنفع وان يرث فللريث في بعض المواطن أسرع [٤]

أما أبو الطّيب فيأخذ هذه الفكرة ، ولكنه لا يكتفي بهذا الإعمام القريب من الغموض ، بل هو يمثل بمثال من ظواهر الطبيعة ، ويقنع المتلقي بتخيل تلك الظاهرة فيقول :

ومـن الخيـر بـطء سـيبك عنـي أسرع السحب في المسير الجهام [٥]

فهو يعتذر عن تأخر عطاء ممدوحه أروع اعتذار ويقنعنا أشد الإقناع بأن وراء هذا البطيء او الريث عطاء غزيراً قد يكون هو سبب ذلك البطء لثقل العطايا وكثرتها ، وان سألنا لماذا ؟ او كيف يحدث هذا ؟ أجابنا في الشطر الثاني بأن السحاب الذي ليس به مطر يسير مسرعاً ، والسحاب المحمل بالمطر يسير بطيئاً ، وهذه الظاهرة الطبيعية لا يختلف فيها اثنان ، فأبو الطّيب " يعتمد المراوحة بين معانيه ويضع مقنعاتها من مخيلاتها احسن وضع ، فيتمم الفصول بها أحسن تتمة، ويقسم الكلام في ذلك احسن قسمة " [٦] ، وأبو الطّيب في هذا يتابع أبا تمّام الذي يقول حازم القرطاجني عن بيته التالي :

أخرجتمـوه بكـرهٍ مـن سـجيته والنار قد تنتضى من ناضر السلمِ[٧]

" فالأقاويل التي بهذه الصفة خطابية بما يكون فيها من إقناع ، شعرية بكونها متلبسة بالمحاكاة والخيالات " [٨] ، فأبو تمّام وأبو الطّيب قد أكثرا وأجادا فناً بلاغياً هو (التشبيه الضمني) وأكثر أمثال الشاعرين هي من هذا الفن البلاغي، وغرض هذا

---

[١]. المصدر نفسه : ٣ / ٨٩ .
[٢]. المصدر نفسه : ٢ / ٨١ .
[٣]. التبيان : ٢ / ١٠ .
[٤]. الديوان : ٢ / ٣٣٢ .
[٥]. التبيان : ٤ / ١٠٠ .
[٦]. منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، أبو الحسن حازم القرطاجني (ت ٦٨٤ هـ) ، تقديم وتحقيق : محمد الحبيب بن الخواجة ، دار الكتب الشرقية ، تونس ، ١٩٦٦ ، ص٣٦٣ .
[٧]. الديوان : ٣ / ١٨٩ .
[٨]. منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص٦٧ .

التشبيه هو " بيان ان وجود المشبه ممكن ، وذلك في كل أمر غريب يمكن ان يخالف فيه ويُدعّى امتناعه " [١] ، كقول أبي تمّام :

وإذا أراد الله نشـــــر فضـــــيلةٍ طويـت أتـاح لهـا لسـان حسـود
لـولا اشـتعال النـار فيمـا جـاورت ما كان يعرف طيب عرف العود[٢]

أو قوله :

ولا تقــل إننـــا مـــن نبعـــةفلقــد بانـت نجائـب إبلٍ مـن نواضـحها [٣]

يقول المرزوقي " ومن هنا سرق المتنبي هذا المعنى فأخرجه في معارض " [٤] ، فمرة قال :

فـان تكـن تغلـب الغلبـاء عنصـرها فإنَّ فـي الخمـر معنـىً ليس فـي العنـبِ [٥]

ومرة قال :

فــان تفــق الانــام وانــت مــنهم فــإنَّ المســك بعــض دم الغــزال [٦]

وقد يقيس أبو الطّيب معانيه وأفكاره على معاني وأفكار أبي تمّام ، فحين يقول أبو تمّام واصفاً ممدوحه بالعفة والزهد :

يصـد عـن الـدنيا إذا عـن سـؤدد ولـو بـرزت فـي زيّ عـذراء ناهـد
إذا المرء لم يزهد وقد صبغت لـه بعصــفرها الــدنيا فلــيس بزاهــدِ[٧]

يقول أبو الطّيب :

كــلُّ حلــمٍ أتـــى بغيـــر اقتـــدارٍ حجـــةٌ لاجـــئ إليهـــا اللئـــام [٨]

وقـد يسـأل : وأي قيـاس بـين الفكـرتين ، ومـا هـي العلاقـة بـين المعنيـين ؟ والجواب هو ان أبا تمّام ذهب الى ان الإنسان لا يسمى زاهداً إلا إذا كان قادراً على الملذات وعافها قادراً متعففاً ، وإلاّ فلا ينبغي ان يسمى العاجز عن بلوغ الملذة والمتعة زاهداً ، بل الأجدر ان يسمى محروماً وما شابهه من الصفات ، وعلى هذا القالب صاغ أبو الطّيب فكرته ، فليس كل حلم فضيلة ، والحلم لا يكون فضيلة إلا إذا كان بعد اقتدار وقدرة على الرد ، حينذاك يسمى الساكت والساكن عن الرد حليماً ، وإلا فهو ضعيف وذليل ، وهي فكرة صائبة ، ونظرة نافذة إلى طبيعة الإنسان وتدقيق في نسبة الصفات وفي مدلولها .

وقد يستفيد أبو الطّيب من أبي تمّام في مجال الرؤية للأشياء والحكم عليها، فأبو تمّام يرى ان هذه الدنيا لسرعة انقضاء أيامها وتصرّم ساعاتها تكاد تكون حلماً سرعان ما يتبدد وتتلاشى أطيافه ، ولا يعود ما قد كان إلا شبحاً او طيفاً ، وعلى هذا ، فمن الحيف ان نحزن وأن نبتئس ، لأن الحزن أيضاً سينصرف وسينصرم ولأن

---

[١]. البلاغة العربية (المعاني والبيان والبديع) ، د. احمد مطلوب ، الجمهورية العراقية ـ وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، ط١ ، ١٩٨٠ ، ص ١٩٣ .
[٢]. الديوان : ١ / ٣٩٧ .
[٣]. المصدر نفسه : ١ / ٣٥٢ .
[٤]. المصدر نفسه والهامش رقم (٣) .
[٥]. التبيان : ١ / ٩١ .
[٦]. المصدر نفسه : ٣ / ٢٠ . وينظر ثقافة المتنبي وأثرها في شعره ، ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣ .
[٧]. الديوان : ٢ / ٧٣ .
[٨]. التبيان : ٤ / ٩٣ .

كـــلّ شـــيء يكـــاد يكـــون خيـــالاً فـــي الحلـــم ، يقـــول أبـــو تمّـــام :
ثُـمَّ انقضـت تلـك السـنون وأهلهـا فكأنّهـــا وكـــأنّهُمْ أحـــلامُ [1]
ويقول أيضاً ذاهباً الى هذه الفكرة معزّياً مالك بن طوق بأخيه القاسم بن طوق :
أمالـــك انّ الحـــزن أحـــلامُ حـــالمِ ومهمـا يـدمْ فالوجـد لـيس بـدائمِ [2]
ويأخذ أبو الطّيب بهذه الفكرة ، ويعزّي نفسه بما يراهُ في هذه الدنيا من أشياء تشق عليه ، فيقول :
هَوِّنْ علـى بصـرٍ مـا شـقَّ منظـرهُ فإنّمـــا يقظـــاتُالعـــين كـــالحُلُمِ [3]
وبسبب هذا البيت نُسِبَ أبو الطِيب الى مذهب السوفسطائية [4] ، وقد نسب الحاتمي ـ فيما نسب ـ هذه الفكرة الى (ارسطو) في قوله : " كرور الأيام أحلام، وغذاؤها أسقام وآلام " [5] ، والحق انّ الصلَة بين أبي تمّام وأبي الطّيب ـ فكراً وفنّاً ولغةً ـ لا يمكن أن تقاس بالصِلَة بينه وبين الفيلسوف اليوناني (أرسطو) .
ونحن لا ننكر ان يكون أبو الطّيب قد أفاد من كل ما قرأ ، ولكن كان الأجدر بالحاتمي ان يبحث عن منابع الحكمة في شعر أبي الطّيب في تراثه الشعري العربي ، وأولهم أبو تمّام ، وان لا يلصق حكمة المتنبي باليونان لصقاً ، فللعرب أصالة فكرية وحكمة توازي ما عند اليونان ، فليس الفكر محصوراً باليونان وحدهم ، ومهما يكن من أمر ، فان موقف الحاتمي من أبي الطّيب " كله تحيف وتحامل " [6] لذلك فمن غير غير المستبعد ان تكون بعض الحكم " نثراً لأبيات الشاعر المتنبي في عبارات تشبه ما نقله الحاتمي من حكمة " ارسطو " [7] ، هذا إذا صحت نسبة هذه الحِكَم الى ارسطو ارسطو ، فها هو د. محمد عبد الرحمن شعيب قد قرأ كلّ ما حواه اللسان العربي مما بقي من مؤلفات أرسطو فلم يجد في كل ما قرأ " شيئاً من هذه الحكم التي نسبها الحاتمي الى ارسطو وجعلها أساساً ومصدراً لحكم المتنبي" [8] ، وعلى أي حال ، فتأثر أبي الطّيب في حكمة أبي تمّام كبير وواسع ، أشارت إليه الشروح ، والكتب التي تناولت سرقات أبي الطّيب [9] ، ولكن أهم ما يتفق فيه الشاعران هو موقفهم الفكري من بعض القضايا وهي :

أ- التشاؤم

في شعر أبي تمّام وأبي الطّيب يظهر التشاؤم واضحاً في ثلاث قضايا هي :

١. الدهر (الزمان) .

---

[1] . الديوان : ٣ / ١٥٢ .
[2] . المصدر نفسه : ٣ / ٢٥٧ .
[3] . التبيان : ٤ / ١٦٢ .
[4] . الواضح في مشكلات شعر المتنبي ، ص ٧ .
[5] . البديع في نقد الشعر ، ص ٢٨٢ .
[6] . المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث ، ص ٢٤٥ .
[7] . ثقافة المتنبي وأثرها في شعره ، ص ٢١١ .
[8] . المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث ، ص ٢٤٨ .
[9] . ينظر كتاب المنصف للسارق والمسروق منه في إظهار سرقات أبي الطّيب المتنبي ، أبو محمد الحسن بن علي بن وكيع ، تحقيق : د. محمد يوسف نجم ، الكويت ، ط١ ، ١٩٨٤ ، ١ / ٣٩٢ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥ ، ٥٩٨ ، الوساطة ، ص ٢١٩ ، ص ٢٨٨ ، ص ٣٢٧ ، ص ٣٥٤ ، دلائل الإعجاز ، ص٤٩١ .

٢. الصديق .
٣. المرأة .

وأشدّ وأولى هذه القضايا هي (الدهر) ، فطالما شكا منه الشاعران ، وذمّاه ذماً على أفعاله ، حتى ليقول أبو تمّام :

شرقنا بذم الدهر [١] ...

وهو يشكو من سياسته الجائرة للأحرار :

لقد ساسنا هذا الزمان سياسةً سدىً لم يسسها قط عبد مجدَّع [٢]

وأحياناً يصفه بالغباء ، لانه لا يعرف كيف يعدل قسمة الأرزاق ويعدل بين الناس ولا سيما الأذكياء أمثال أبي تمّام :

فلو ذهبت سنات الدهر عنه وألقِيَ عن مناكبه الدثارُ
لعدل قسمة الارزاق فينا ولكن دهرنا هذا حمارُ [٣]

وأبو تمّام يعتقد او هكذا يصوّر له تشاؤمه ان الزمان والدهر بأحداثه ومناياه لا يصيب الا الأحرار واهل السؤدد او كل من يفضلهم أبو تمّام على من سواهم ـ وهو بالطبع منهم ـ فيقول :

وكذا المنايا ما يطأن بميسمٍ إلا على أعناق أهل السؤدِد [٤]

و : إن ريب الزمان يحسن ان يهدي الرزايا الى ذوي الأحسابِ [٥]

وهو لذلك يصرخ بوجه الدهر :

يا دهر قدك وقلما يغني قِدِ وأراك عشر الظمء مر المورد
ولقد أحيط بنا ولم نك صورةً بك واستعد لنا ولمَّا نولدِ
يا دهر أية زهرة للمجد لم تجفف وأية أيكة لم تخضدِ؟ [٦]

وكل هذا كرره أبو الطّيب وزاد عليه واشتهر له ، حتى ليعد الثعالبي شكوى الدهر والدنيا من محاسن شعره وبدائعه [٧] ، وليس هذا ما نريده وما نرمي اليه ، ولكن ولكن ما نريد ان نصل اليه هو ان ابا تمّام دعاه تشاؤمه الى تحبيذ (قطع النسل) وكان في معرض الرثاء ، فبذر بذلك البذرة الأولى لفلسفة أبي العلاء المعري وذلك بقوله :

لو يعلم الناس علمي بالزمان وما عاثت يداه لما ربّوا ولا ولدوا [٨]

ويتعهد أبو الطّيب هذه البذرة (البيت) في قوله في معرض الرثاء :

---

١. الديوان : ٤ / ١٢٩ .
٢. المصدر نفسه : ٢ / ٣٢٤ .
٣. المصدر نفسه : ٢ / ١٥٤ .
٤. المصدر نفسه : ٤ / ٦٢ .
٥. الديوان : ٤ / ٤٣ .
٦. المصدر نفسه : ٤ / ٦٠ .
٧. يتيمة الدهر : ١ / ٢٥١ .
٨. الديوان : ٤ / ٧٧ .

ومـــا الـــدهر اهـــلٌ ان تؤمـــل عنـــده حيـاة وان يشـتاق فيـه الـى النسلِ [1]

وعن هذا البيت وبيت آخر في القصيدة سابق له هو :

إذا مـــا تأملـــت الزمـــان وصـــرفه تيقنـت ان المـوت ضـرب مـن القتـل [2]

يقول طه حسين : ان ابا الطّيب " وثب فيهما الى معنى فلسفي رائع ، فتح به لأبى العلاء باباً من الشعر أتى فيه بالأعاجيب " [3] ، ثم يضيف : " وأكبر الظن ان المتنبي قد ظفر بهذا المعنى في بعض قراءاته الفلسفية " [4] ، وقد سبق ان هذا المعنى قد ظفر به أبو تمّام وتأثره أبو الطّيب وبلغ التمام عند أبي العلاء المعري كما هو مشهور . والحق ان الصلة بين تشاؤم أبي الطّيب وتشاؤم أبي العلاء المعري ليست بجديدة فأبو العلاء " لم يصنع اكثر من تنميته لهذا الجانب الذي وجده عند أستاذه المتنبي " [5] ، ولكن الجديد ـ فيما نظن ـ ان أبا تمّام هو أول من أشعل شرارة التشاؤم التشاؤم في الشعر العربي على هذه الصورة .

٢. الصديق :

لقد أبدى أبو تمّام رأياً غالياً في التشاؤم في الصداقة وفي الصديق حين قال:

ان شـــئت ان يســـود ظنـــك كلـــه فأجلـــه فـــي هـــذا الســـواد الأعظـــمِ

ليس الصديق بمن يعيرك ظاهراً متبســـماً عـــن بـــاطن مـــتجهمِ [6]

وفي قوله يائساً من الناس كلهم :

فـاض اللئـام وغاضـت الأحسـاب واجتثـــــت العليـــــاء والآدابُ

فكـــأن يـــوم البعـــث فاجـــأهم فـــلا أنســـــابُ بيـــنهم ولا أســـبابُ [7]

ويقول أيضاً :

وتصـــرف الأخـــوان ان كشـــفتهم ينسـيك طـول تصـرف الأيـام [8]

أما أبو الطّيب فهو يكثر من هذا المعنى ، ويتوغل في هذه الفكرة فيقول :

فلمـــا صـــار ودّالنـــاس خِبّـــاً جزيـــت علـــى ابتســـامٍ بابتســـامِ

وصـــرت اشـــك فـــيمن اصـــطفيه لعلمـــي أَنَّـــه بعـــض الأنـــامِ [9]

ويقول :

خليلـــك أنـــت لا مـــن قلـــت خلّـــي وان كثـــر التجمـــل والكـــلامُ [10]

وهذا ـ بالتأكيد ـ شك في الناس وتشاؤم ويأس من وجدان الصديق الصدوق، بل غاب ـ لدى أبي الطّيب ـ الصدق والصديق وكأنهما شيء واحد في قوله :

---

[1]. التبيان : ٣ / ٥٢ .
[2]. المصدر نفسه : ٣ / ٥١ .
[3]. مع المتنبي ، دار المعارف ـ مصر ، د. ت ، ص٢٠٩ .
[4]. المصدر نفسه ، ص ٢٠٩ ـ ٢١٠ .
[5]. الفن ومذاهبه في الشعر العربي،د. شوقي ضيف، دار المعارف ـمصر ، ط٧ ،١٩٦٩ ، ص٣٤٥.
[6]. الديوان : ٣ / ٢٥٠ .
[7]. المصدر نفسه : ٤ / ٣١١ .
[8]. المصدر نفسه : ٤ / ٤٩٨ .
[9]. التبيان : ٤ / ١٤٤ .
[10]. التبيان : ٤ / ٧١ .

غـاض الوفـاء فمـا تلقـاه فـي عـدةٍ وأعـوز الصـدق فـي الأخبـار والقسـم [1]

٣. المــرأة :

لا تختلف نظرة الشاعرين الى المرأة عن نظرتهما الى الصديق ، وكأنّها الوجه الآخر للصديق او هي الصديقة ، نلمح ذلك من قول أبي تمّام :

فلا تحسبا هنداً لها الغدرُ وحدها سجية نفسٍ ، كلّ غانية هندُ [2]

وهذا - بالطبع - من أبي تمّام تشاؤم وشك في المرأة التي لا يرى فيها وفاءً ولا يلمس منها عهداً ، ويسير أبو الطّيب على هذا النهج ، فيقول :

إذا غدرت حسناء وفت بعهدها فمن من عهدها ان لا يدوم لها عهدُ [3]

وهذا التطابق في النظرة مضمونأ وبحراً ورويأ ، أوهمت أبا سعد محمد بن احمد العميدي فكتب البيتين التاليين على هذه الصورة ناسباً البيتين كليهما الى أبي تمّام :

فلا تحسباً هنداً لها الغدرُ وحدها سجية نفسٍ ، كلّ غانية هندُ

فان حقدت لم يبقَ في نيلها رضىً وان رضيت لم يبقَ في قلبها حقدُ [4]

والبيت الأول لأبي تمّام -كما مرّ- أما الثاني فهو لأبي الطّيب في ديوانه [5] ، ولم يقف أبو الطّيب عند هذا الحد من تأكيد على شكه في المرأة وعدم إيمانه بوفائها بل كرر المعنى وقلبه في عدة أبيات ، منها قوله :

ومن خبر الغواني فالغواني ضياء في بواطنهِ ظلامُ [6]

وبهذا يكون أبو الطّيب شديد التشاؤم في نظرته الى المرأة وخاصة تلك التي يسميها (الغانية) او الحسناء [7] .

---

[1]. المصدر نفسه : ٤ / ١٦٢ .
[2]. الديوان : ٢ / ٨١ .
[3]. التبيان : ٢ / ٤ .
[4]. الإبانة عن سرقات المتنبي ، ص ٤٥ .
[5]. التبيان : ٢ / ٤ ، وفي الديوان قلبها مكان نيلها .
[6]. المصدر نفسه : ٤ / ٧٢ .
[7]. ينظر : المحصول الفكري للمتنبي ، ص ٢٩٩ .

ب ـ الخير ـ والشر

قبل ان نتعرض او نعرض نظرة الشاعرين ورأيهما في الخير والشر ، علينا ان نتعرف على المقصود من مفهومي الخير والشر – هنا ـ ، فالخير هو كل ما تحبه وتهواه النفوس او هو كل ما ينفع او يلذ او يسر ... الخ ، والشر ـ هنا ـ هو كل ما تنفر منه النفوس او هو كل ما يضر او يؤلم او يغم ... الخ ، فاللقاء او الوصال – مثلا – خير ، والوداع او الهجر شر ، والراحة خير ، والتعب شر... وهكذا " ويندرج تحت مفهوم الخير هذا الفضائل عامة كالكرم والخلق والحسن والعدل الحق وما يشبه ذلك ، كما يندرج تحت مفهوم الشر. الرذائل عامة كالبخل والظلم والانحراف والحسد وما يشاكلها " [١] ، وقد توصل الشاعران الى (قواعد) في العلاقة بين الخير والشر منها .

١ـ " ان الشر في الحياة ضرورة لازمة لأنّنا به نعرف اوجه الخير ونعمل من اجل ان تسود " [٢] يقول أبو تمّام :

والحادثات وان أصابك بؤسها فهو الذي أنباك كيف نعيمها [٣]

فبالقبح نعرف الجمال ، وبالجمال نلمح القبح ، فمدينة أذربيجان بان قبحها وهي في قبضة بابك لما حولها من جمال المدن الطليقة من ذاك الأسر ، يقول أبو تمّام :

فلأذربيجان اختيال بعدما كانت معرّس نكبة ونكال
سمجت ونبهنا على استسماجها ما حولها من نضرةٍ وجمال
وكذاك لم تفرط كآبة عاطل حتى يجاورها الزمان بحال [٤]

فأبو تمّام يؤمن بضرورة وجود الأضداد (الخير – الشر) لكي نعرف كلا منهما ، يقول :

إساءة دهرٍ أذكرت حسن فعله إلي ولولا الشري لم يعرف الشهد [٥]

فـ (الشري) – هنا – رمز للشر ، والشهد هو رمز الخير ، فأبو تمّام " يرى هذه الأضداد مظهرا من المظاهر الأساسية في الحياة " [٦] ، أما أبو الطّيب فهو يجمل هذا التفصيل بقوله عن ممدوحه :

ونذيمهم وبهم عرفنا فضله وبضدها تتبين الأشياء

أي لو " كان الناس كلهم كراما مثله ، لم يعرف فضله " [٧] .

---

[١] . الصورة الفنية في شعر أبي تمّام ، د. عبد القادر الرباعي ، جامعة اليرموك ، أربد – الأردن ، ١٩٨٠ ، ص٨٦ .
[٢] . المصدر نفسه ، ص٩٠ .
[٣] . الديوان : ٣/ ٢٧٣ .
[٤] . المصدر نفسه : ٣/ ١٣٢ .
[٥] . الديوان : ٢/ ٨٤ .
[٦] . الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، ص٢٥١ .
[٧] . التبيان : ١/ ٢٢ .

٢- " إن الخير والشر كلاهما يتولد من الآخر " [١] . أي إن الشر جسر الى الخير ، فالراحة الكبرى لا يعبر إليها إلا على جسر من التعب ، والنوم المسكن لا يُعطى إلا من نوم مشرّد في بيتي أبي تمّام :

بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها تنال إلا على جسر من التعب [٢]

و

ولم تعطني الأيام نوما مسكناً ألذ به إلاّ بنوم مشرَّ ِد [٣]

فالضد (الشر) ينتج منه الضد (الخير) [٤] ، وهو بهذه الفكرة يقنعُ من تلومه على السفر ، وتبكي لفراقه ، فيقول لها : - على أمل ان تفهم هذه الفلسفة –

أآلفة النحيب كم افتراق أظلَّ فكان داعية اجتماع

وليست فرحة الاوبات إلاّ لموقوفٍعلى ترح الوداع [٥]

وبهذا المنطق نفسه يقنع أبو الطّيب عضد الدولة ويقول له :

لعـــل الله يجعلـــه رحـــيلاً يعين على الإقامة في ذراكا [٦]

٣- ان الخير قد يتحول الى شر إذا وضع في غير موضعه .

يقول أبو تمّام عن ممدوحه انه :

صفوح إذا لم يثلم الصفح حزمه وذو تدرأ بالفاتك الخرق فاتك [٧]

فالصفح (خير) و " لكنّه إذا وضع في غير موضعه استغل ببشاعة وانقلب شراً على صاحبه " [٨] وهذا المعنى تبناه أبو الطّيب وبنى عليه ، من ذلك قوله :

من الحلم ان تستعمل الجهل دونه اذا اتسعت في الحلم طرق المظالم [٩]

وقوله :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وان أنت أكرمت اللئيم تمردا [١٠]

فالحلم والإكرام (خير) ولكن ليس في غير مواضعها ، فالحلم في غير موضعه ينتج عنه الظلم ، والكرم في غير موضعه ينتج عنه التمرد .

٤- ليس هناك خير مطلق ولا شر مطلق ، بل هما نسبيان حسب الظروف والأحوال .

يقول أبو تمّام عن ممدوحه :

---

[١] . الصورة الفنية في شعر أبي تمّام ، ص٩١ .

[٢] . الديوان : ١/ ٧٣ .

[٣] . المصدر نفسه : ٢ / ٢٣ .

[٤] . ينظر : شعر أبي تمّام دراسة في اسلوبه ، رسالة دكتوراه ، احمد سعيد عبيد عبيدون ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، باشراف أ. د. مصطفى عبد اللطيف جياووك ، ٢٠٠٠م ، ص ١٨٠ .

[٥] . الديوان : ٢ / ٣٣٦ .

[٦] . التبيان : ٢ / ٣٨٨ .

[٧] . الديوان : ٢ / ٤٦٢ .

[٨] . الصورة الفنية في شعر أبي تمّام ، ص ٩٢ .

[٩] . التبيان : ٤ / ١١٢ .

[١٠] . المصدر نفسه : ١ / ٢٨٨ .

يـرى العلقـم المـأدوم بـالعز أريـة يمانيـــة والاري بالضـــيم علقمـــا [1]

وعلى هذا فان " فان النفس البشرية التي تتلقى الشر هي الحكم الوحيد على جمال الواحد منهما او قبحه ، فليس كل جميل – على الظاهر – جميلا في الباطن كما انه ليس كل قبيح قبيحا فيه أيضاً " [2] ، وهذا ما يؤمن به أبو الطّيب حين يقول مخاطباً مخاطباً محبوبته :

سـهاد اتانـا منـك فـي العين عنـدنا رقـاد ، وقـلاّمٌ رعـى سـربكم ورد [3]

وحين يقول في إحدى قصائده مادحا كافورا :

فاحسن وجه في الورى وجه محسن وايمـن كـف فـيهم كـفٌ مـنعم [4]

وقد أول هذا البيت على انه هجاء لكافور " بقبح الصورة ، وانه لا منقبة له يمدح بها غير انه احسن بالإعْطاء فوجهه احسن الوجوه بالإحسان ويده ايمن الايدي بالانعام " [5] ، ونقول انه لا اعتراض على التأويلات في الشعر ، لكن ابا الطّيب – هنا هنا – كان يذهب المذهب الذي قدمناه ، وهو ان القبح والجمال نسبيان حسب الظروف والاحوال ، وقد لا يكون الحسن والجمال الا طلاء وتمويها للقبح في الباطن كما قال في قصيدة اخرى :

ممّا أضرَّ باهل العشق انهم هووا وما عرفوا الدنيا وما فطنوا

تفنى عيونهم دمعاً وانفسهم في اثر كل قبيح وجهه حسنُ [6]

٥- ان أفعال الحياة وأشياءها ما تحمل النقيضين ، فهي خير في جانب ، وشر في جانب آجر .

يقول أبو تمّام :

ما ان ترى شيئا لشيء محبيا حتى تلاقيه لاخر قاتلا [7]

وخير مثال إلى ذلك هو سقوط مدينة (عمّورية) :

وحسن منقلب تبدو عواقبه جاءت بشاشته من سوء منقلب

" حسن المنقلب كان للمسلمين ، وسوء المنقلب كان للكفار " [8] ، ويصوغ أبو الطّيب من هذا قانوناً عاماً محكماً :

بذا قضت الأيام ما بين أهلها مصائب قوم عند قوم فوائد [9]

٦- ان الشرَّ من الذي عُرِفَ منه الخير يكون " كريهاً الى النفس كرهاً زائداً يفوق كلَّ كره " [1] ، مثل البخل من الكريم وغير ذلك ، يقول أبو تمّام :

---

[1] . الديوان : ٣ / ٢٣٥ .
[2] . الصورة الفنية في شعر أبي تمّام ، ص ٩٣ .
[3] . التبيان : ٢ / ٣ .
[4] . المصدر نفسه : ٤ / ١٤١ .
[5] . ديوان المتنبي (الواحدي) : ٢ / ٦٥٣ .
[6] . التبيان : ٤ / ٢٣٤ .
[7] . الديوان : ٤ / ١١٣ .
[8] . الديوان : ١ / ٥٨ .
[9] . التبيان : ١ / ٢٧٦ .

ولو حاردت شول عذرت لقاحها ولكن حرمت الدر والضرع حافل [٢]

ويقول أيضاً عن ممدوح آخر :

رأى البخل من كل فظيعا فعافه على انه من أمر وافظع

وكل كسوف في الدراري شنعة ولكنه في الشمس والبدر أشنع[٣]

وهذا ما يتبناه أبو الطّيب ويبني عليه هذا البيت ويقول :

وما يوجع الحرمان من كف حارم كما يوجع الحرمان من كف رازق [٤]

وعلى ذلك فان التقصير (شر) ومن الحازم افظع ، يقول أبو تمّام :

رأوا طرقات العجز عوجاً فظيعة وافظع عجز عندهم عجز حازم [٥]

ويقول أبو الطّيب :

ولم أرَ في عيون الناس شيئاً كنقص القادرين على التمام [٦]

ج- الطبع – التكلف

لقد آمن أبو تمّام بفكرة تقول ان الطبع احسن من التطبع او التكلف ، وان الطبيعة اكمل من التصنيع ، وان إرسال النفس على سليقتها وسجيتها أنجع وانجح من التعمق ، نفهم ذلك من مدحه الخليفة المعتصم بالله الذي رآه الشاعر قد أرسل نفسه على سجيتها ، وانه جرى في سياسته وفي إنفاذ عزائمه على الطبع معرضا في ذلك بالوزراء اللذين يتعمقون في الأفكار ولا يحصلون على طائل ، يقول أبو تمّام :

وعزائما في الروع معتصمية ميمونة الادبار والاقبال

فتعمق الوزراء يطفو فوقها طفو القذى وتعقب العذّال[٧]

ثم يخلص الى هذا البيت الخلاصة والحكمة :

والسيف ما لم يُلفَ منه صيقل من طبعه لم ينتفع بصقال

وحين يتغزل أبو تمّام فانه يفضل (كحل) معشوقته الذي هو (طبع) وخلقة فيها على (الكحل) الذي هو تطبع وتصنيع وطلاء من الخارج فيقول :

يخزي ركام النقا ما في مآزرها ويفضح الكحل في أجفانها الكحل [٨]

---

[١] . الصورة الفنية في شعر أبي تمّام ، ص ٩٢ .
[٢] . الديوان : ٣ / ١٢٩ .
[٣] . المصدر نفسه : ٢ / ٣٢٧ .
[٤] . التبيان : ٢ / ٣٢٢ .
[٥] . الديوان : ٣ / ٢٥٩ .
[٦] . التبيان : ٤ / ١٤٥ .
[٧] . الديوان : ٣ / ١٤٥ .
[٨] . المصدر نفسه : ٣/ ٧ .
[٣] . الديوان : ١ / ١٢٤

وهو يرى ان الإنسان مهما استطاع ان يتكلف فانه في النهاية يكشف ، لان التكلف والتخلق امده قصير ، لذلك فان من يتخاق بغير اخلاقه سرعان ما يفتضح، كالشيب الذي يغطى بالخضاب لكنه ينصل ويفضح المختضب ، يقول أبو تمّام عن مثل ذلك المتكلف :

يتغطـــى عـــنهم ولكنـــه تنـــ صـــلٌ أخلاقـــه نصـــول المشـــيب [١]

وعلى ذلك فأبو تمّام يسمي الأشياء بأسمائها الطبيعية ، فالشعر الأسود هو خضاب الله (المطبوع) ، واذا زال هذا الخضاب فان أي خضاب (متكلف – مصنوع) لا يمكن ان يكون بدلا عنه ، وكأنه يذهب الى ان الطبيعة أسمى من التصنيع ، في قوله :

أو ما رأت بردي من نسج الصبى ورأت خضاب الله وهو خضابي [٢]

أما أبو الطّيب فهو يأخذ بفكرة تفضيل الطبع على التكلف ، ويفسر به فشل طبيب بدر بن عمار في علاجه ذاهبا الى ان السبب هو (التعمق) او (التكلف) فيقول عن ذلك الطبيب وعن الطبع والتكلف :

جـــاز حـــدود اجتهـــاده فـــأتى غير اجتهاد لأمه الهَبَلُ وعند
ابلغ ما يطلب النجاح به الطبع التعمـــــــــــق الزلـــــــــل[٣]

ويقلّب أبو الطّيب هذه الفكرة شتى التقليبات ، وياتي بحكم مرادفة كقوله :

وكل يرى طرق الشجاعة والندى ولكـن طبـع الـنفس للـنفس قائـد [٤]

وقوله :

وأسرع مفعول فعلت تغيرا تكلـف شـيئا فـي طباعـك ضـدّه [٥]

وينقل أبو الطّيب (الكحل) و(الكحَل) في بيت أبي تمّام من الغزل الى المدح ، شاهدين على حلم ممدوحه المطبوع ، ويقول مخاطبا سيف الدولة :

لأنَّ حلمـــك حلـــم لا تكلفـــه ليس التكحل في العينين كالكحل [٦]

ولميل أبي الطّيب الى الطبع ونفوره من التكلف ، فانه يعجب بالجمال البدوي ، بل بكل ما يمت للبداوة حيث الطبع والصفاء لا التكلف والأصباغ ، يقول أبو الطّيب مقارناً بين نساء الحضر ونساء البادية .

ما أوجه الحضر المستحسنات به كأوجـــه البـــدويات الرعابيـــب
حسن الحضارة مجلوب بتطرية وفي البداوة حسن غير مجلوب
أيـن المعيـز مـن الآرام نـاظرة وغير ناظرة في الحسن والطيب[٧]

---

[٢] . التبيان : ٤ / ١٤٥ .
[٣] . المصدر نفسه : ٤ / ١٤٥ .
[٤] . المصدر نفسه : ٤ / ١٤٥ .
[٥] . المصدر نفسه : ٤ / ١٤٥ .
[٦] . المصدر نفسه : ٤ / ١٤٥ .

والطيـــــــــــــــــــــب[1]

كذلك جارى أبا تمّام في رغبته عن (الخضاب) لأنه (تمويه) ، ولأنه راغب عن التمويه فقد دعاه (هوى الصدق) الى ان يدع مشيبه غير مخضوب :

ومن هوى كل من ليست مموهة تركت لون مشيبي غير مخضوب
ومن هوى الصدق في قولي وعادته رغبت عن شعر في الوجه مكذوب[2]

[1] . التبيان: ١/ ١٦٨ .
[2] . المصدر نفسه : ١/ ١٦٩ – ١٧٠ .

" إذا صحّ أن الشعر العربي في المشرق قد بلغ أوجه في القرن الرابع ، وان كل عناصره الفنية قديمها وحديثها قد تحدد واتضح في العهد ما بين أبي تمّام وابي الطّيب ، فصحيح كذلك ان النقد قد وصل ذروته في هذا القرن وان اكثر ما يمكن ان يقال فيه قد قيل " [١] ، ومثلما كانت الزعامة في الشعر قد تمثلت بأبي تمّام ثم من بعده بأبي الطّيب ، فان الزعامة في النقد قد تمثلت بالآمدي (ت ٣٧١ هـ) وبالقاضي الجرجاني (ت ٣٩٢هـ) حتى لقد عُدّا " زعيمي نقد الشعر في القرن الرابع " [٢] ، بل هما " ناقدا العرب اللذان لا نظير لهما " [٣] ، ومن نافلة القول ان نقول ان شعر الشاعرين (أبي تمّام وأبي الطّيب) كان هو الحافز لدى اللغويين والكتاب والشعراء النقاد وعلى رأسهم (ابن المعتز ، ت ٢٩٦هـ) الذي ألّف رسالة في محاسن أبي تمّام ومساوئه قال فيها: " ربما رأيت في تقديم بعض أهل الأدب الطائي على غيره من الشعراء إفراطاً بينا ، فاعلم انه اوكد أسباب تأخير بعضهم إياه عن منزلته لما يدعوه اليه اللجاج ، فأما قولنا فيه فانه بلغ غايات الإساءة والإحسان " [٤] ، ولكن المرزباني لم يذكر المحاسن وذلك لانه ألّف كتابه على قصد " ان يجمع فيه مآخذ العلماء على الشعراء ، فاقتصر في القسم الذي تحدث فيه عن أبي تمّام على النقد المنصب على المساوئ ، واقتطفه من رسالة ابن المعتز المذكورة " [٥] ، ويبدو ان أبا تمّام " كان يمثل مشكلة فنية لدى ابن المعتز " [٦] ، مما دعاه الى ان يؤلف كتابا ذهب فيه إلى ان البديع فنٌّ قديم وان المحدثين سُبِقوا إليه ولكن " حبيب بن أوس الطائي من بعدهم شغف به حتى غلب عليه وتفرع فيه واكثر منه فاحسن في بعض ذلك وأساء في بعض وتلك عقبى الإفراط وثمرة الإسراف " [٧] .

ويكثر الجدل والحوار والصراع حول أبي تمّام ومذهبه ولا يتوج هذا كله إلاّ بكتاب الآمدي الشهير (الموازنة) مثلما يكثر الحوار والجدل حول مذهب أبي

---

[١]. تاريخ النقد العربي عند العرب من العصر الجاهلي الى القرن الرابع الهجري ، الأستاذ طه احمد ابراهيم ، دار الحكمة – دمشق ، طبعة منقحة ، ١٩٧٢ ، ص ١٣٦ .

[٢]. المصدر نفسه ، ص١٤٥.

[٣]. النقد المنهجي عند العرب ، ص٩٦.

[٤]. الموشح ، أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني (ت٣٨٤ هـ) ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار النهضة – مصر ، ١٩٦٥ ، ص٤٧ .

[٥]. الحركة النقدية حول مذهب أبي تمّام (في القديم) ، د. محمود الربداوي ، دار الفكر - القاهرة ، ١٩٦٧ ، ١/ ٧٨.

[٦]. تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د. إحسان عباس ، دار الشروق ، عمان – الأردن ، ١٩٨٦ ، ص ١٢٠.

[٧]. البديع ، عبد الله بن المعتز (ت ٢٩٧ هـ) ، تحقيق : اغناطيوس كراتشقوفسكي ، ط ٢ ، ١٩٧٩، أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد ، ص١.

الطّيب ولا يتوج إلا بكتاب القاضي الجرجاني (الوساطة) فيتربع هذان الناقدان على عرش النقد مثلما تربع أبو تمّام وأبو الطّيب على عرش الشعر ، والحق ان شخصيات أدبية كبيرة وكثيرة ظهرت في القرن الرابع نتيجة الصراع حول أبى الطّيب مثل الصاحب بن عبّاد (ت ٣٨٥هـ) والحاتمي (ت ٣٨٨ هـ) وإذا علمنا ان الصولي " يعدّمن نقاد القرن الرابع لانه توفي سنة ٣٣٥ هـ "[١] ، علمنا أي ازدهار للنقد كان في ذلك القرن ، وأيّ حركة نقدية مباركة أثارها هذان الشاعران ، والجهود التي بذلها نقاد أبي الطّيب كانت ذات " مساس مباشر بفن أبي تمّام ، لان نقاد المتنبي كانوا مسوقين الى نقد فن أبي تمّام في كثير من مواطن نقدهم ، وخاصة في سرقات المتنبي التي يعزى كثير منها الى شعر أبي تمّام "[٢] ، كما سيمر بنا في هذه الدراسة .

وبعد هذا العرض السريع المتواضع لحيثيات الحركة النقدية حول الشاعرين ، فان غرضنا الأساس هو ان نبحث الوسائل التعبيرية والخصائص الأسلوبية التي استعملها الشاعران ، فأثارا كل تلك الضجة عليهما وتلك الحركة حولهما ، او بعبارة أوضح، ما هي المأخذ المشتركة التي أخذت على الشاعرين في القرن الثالث – لدى أبي تمّام - وفي القرن الرابع (خاصةً) وما تلاه من عصور ، وسنأخذ – بالطبع - أهم تلك المآخذ ... او كبار المآخذ التي أخذت عليهما معا ... كلا على حدة ... وهذه المآخذ (الكبار) هي :

أ ـ الاستعارة :

تعد الاستعارة من ابرز الوسائل التعبيرية التي أثار بها الشاعران النقاد وأهل اللغة ، فقد ثارت " زوبعة عنيفة على أبي تمّام لانه خرج على مألوف العرب في استعمالها "[٣] ، كقول الآمدي عن أبي تمّام انه : " عدل في شعره عن مذاهب العرب العرب المألوفة الى الاستعارات البعيدة المخرجة للكلام الى الخطأ او الإحالة "[٤] ، وقد وصف ابن المعتز استعارة أبي تمّام بـ (القبح) في قوله :

شاب رأسي وما رأيت مشيب الرأس إلا من فضل شيب الفؤاد[٥]

فقال : " فيا سبحان الله ما اقبح مشيب الفؤاد وما كان أجرأه على الأسماع في هذا او أمثاله "[٦] ، كما وصفها بالمقت[٧] ، وكثيرا ما قال عنه الآمدي انه " وضع الاستعارة في غير موضعها "[٨] ، وذلك لانه لا يستعير كما يستعير العرب ، فالعرب فالعرب – كما يقول الآمدي – انما استعارت " المعنى لما ليس له اذا كان يقاربه او

---

[١]. أبو بكر الصولي ناقدا ، صبحي ناصر حسين ، دار الجاحظ للطباعة والنشر ، بغداد ، ط١ ، ١٩٧٥ ، ص٦ .

[٢]. الحركة النقدية حول أبي تمّام : ٢٥٠/١ .

[٣]. عمود الشعر ، د. احمد مطلوب ، مجلة كلية الآداب ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة بغداد ، دار الحرية للطباعة ، العدد (٢٨) ، مايس ١٩٨٠ ، ص٩٠.

[٤]. الموازنة :٢٣/١.

[٥]. الديوان : ٣٥٧/١.

[٦]. الموشح : ص٤٧٢.

[٧]. الصدر المصدر نفسه ، ص٤٧١ .

[٨]. الموازنة : ٢٣٤/١.

يناسبه او يشبهه في بعض أحواله ، او كان سببا من أسبابه ، فتكون اللفظة المستعارة حينئذ لائقة بالشيء الذي استعيرت له ، وملائمة لمعناه " [1] ، اذن " فالعرب وضعت شروطا للاستعارة منها : المقاربة والمناسبة والمشابهة والسببية ولن تكون الاستعارة لائقة إذا أخرجت عن هذه الشروط المتعارف عليها " [2] ، ويورد الآمدي أبياتاً كثيرة لأبي تمّام تحت باب " ما جاء في شعر أبي تمّام من قبيح الاستعارات " [3] ، منها قوله :

تروح علينا كل يوم وتغتدي خطوب كأن الدهر منهنَّ يصرع

وقوله :

ألا لا يمد الدهر كفّاً بسيء الى مجتدي نصر فتقطع من الزند

وقوله :

به اسلم المعروف بالشام بعد ما ثوى منذ أودى خالد وهو مرتد

وقوله :

وما ذَكَرَ الدهر العبوس بأنه له ابن كيوم السبت الا تبسما

وقوله :

إذاً للبستم عار دهر كأنما لياليه من بين الليالي عوارك

وقوله :

لدى ملك من ايكة الجود لم يزل على كبد المعروف من فعله برد [4]

ثم يقول بعد ان يورد الأبيات جميعها انه جعل " للدهر اخدعا ، ويدا تقطع من الزند ، وكأنه يصرع ، وجعله يشرق بالكرام ، ويفكر ويبتسم ، وان الأيام بنون له ، ... وجعل للمدح يدا ... وجعل المعروف مسلما تارة ومرتدا اخرى ، والحادث وغدا .... وظن ان الغيث كان دهرا حائكا ... والليالي كأنها عوارك ، والزمن كأنه ابن للصباح الأبلق " ، ثم يقول " وهذه استعارات في غاية القباحة والهجانة والغثاثة والبعد من الصواب " [5] ، وما ذكره الآمدي مما اقتبسناه - ومما لم نقتبسه – يؤكد حقيقة واضحة وهي ان أبا تمّام كان يجسد الأشياء ويشخصها بل هو أحيانا (يؤنسها) ويسند اليها الأفعال البشرية مثل (اسلم) للمعروف او مثل (تبسم) حين يسنده الى الدهر ، او الصفات البشرية مثل ان يصف الحادث بأنه " وغد " [6] ، او يصف الليالي بما تتصف به أنثى الإنسان ، فضلا عن ان يسند إليه أعضاء بشرية مثل (الزند) زيادة على الكبد ، وبذلك اصبح أبو تمّام خارجا على شروط الاستعارة الصارمة وعلى نظامها اللغوي .

---

[1]. المصدر نفسه ، ١/ ٢٦٦.
[2]. عمود الشعر ، ص٩٣ .
[3]. الموازنة : ٢٦١/١.
[4]. الديوان : ٣٢٤/٢ ، ٦٤/٢، ٩١/٢، ٢٤٣/٣، ٢٦٤/٢، ٨٧/٢ .
[5]. الموازنة :٢٦٥/١.
[6]. الديوان : ٨٤/٢ .

" ان الخروج - هنا - على ذلك النظام اللغوي المفترض وتقاليده المجازية الثابتة انما هو خروج على قواعد العقل نفسه " [١] ، وهذا ما لا يطيقه الآمدي الذي " يناقش الاستعارة على أساس لغوي محض " [٢] ، اما المظهر العملي لذلك الخروج فهو " ما يبدو في استعارات أبي تمّام هذه من خلع الحياة الإنسانية على المجردات ومن تجسيد المعنويات على هذا النحو اللامعقول " [٣] عند الآمدي ، ولا يبدو القاضي الجرجاني اقل نفورا من استعارات* أبي تمّام من الآمدي [٤] ، بل يلصق جريرة البعد والإفراط في الاستعارة بابي تمّام الذي جرَّأ الشعراء عليها بقوله " ولقد كانت الشعراء تجري على نهج منها (الاستعارة) قريب من الاقتصاد ، حتى استرسل فيه أبو تمّام ومال الى الرخصة ، فأخرجه الى التعدي ، وتبعه اكثر المحدثين بعده " [٥] ، ، وأول هؤلاء المحدثين هو أبو الطّيب المتنبي الذي "جعل للطيب والبيض واليلب قلوباً وللزمان فؤاداً " [٦] في قوله :

مسرة في قلوب الطّيب مفرقها وحسرة في قلوب البيض واليلب [٧]

وفي قوله :

تجمعت في فؤاده همم ملء فؤاد الزمان إحداها [٨]

وهذه استعارة - مرة أخرى – " لم تجر على شبه قريب ولا بعيد ، وانما تصح الاستعارة وتحسن على وجه من المناسبة ، وطرف من الشبه والمقاربة " [٩]، ويشهر بعض خصوم أبي الطّيب هذه الكبيرة في وجهه كما في قوله :

أسُدُدم الأسد الهزبر خضابه موتٌ ، فريص الموت منه ترعد [١٠]

حين يقول له " فجعلت للموت فريصا... وهي استعارة بعيدة جدا " [١١] ويصف بعض استعاراته بالقبح [١٢] ، ويجمع خصم من خصوم أبي الطّيب بين استعارة أبي تمّام في قوله :

---

[١]. الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، د. جابر احمد عصفور ، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة ، ١٩٧٤ ، ص٢٦٣.

[٢]. المصدر نفسه ، ص٢٦٤.

[٣]. المصدر نفسه ، ص٢٦٣.

*. يسمى هذا النوع في اللغة الانكليزية من (التشخيص) Prosopopoeia ، ينظر المورد ، منير البعلبكي ، دار العلم للملايين – بيروت ، ط ٣٢ ، ١٩٩٨ ، ص٧٣٢ .

[٤]. الوساطة ، ص٤٠-٤١.

[٥]. المصدر نفسه ، ص ٤٢٩.

[٦]. المصدر نفسه ، ص٤٢٩.

[٧]. التبيان : ١ / ٩٠ .

[٨]. التبيان : ٤ / ٢٧٧ .

[٩]. الوساطة ، ص ٤٢٩.

[١٠]. التبيان : ٣٣٢/١ .

[١١]. الرسالة الموضحة ، محمد بن الحسن الحاتمي ، تحقيق : د. محمد يوسف نجم ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٥، ص٧٣.

[١٢]. المصدر نفسه ، ص٦٩ .

لا تسـقني مـاء المـلام فـأنني صـب قـد اسـتعذبت مـاء بكـائي [1]

و قول أبي الطّيب :

وقد ذقت حلواء البنين على الصبا فلا تحسبني قلت ما قلت عن جهل[2]

فيقول ((وما زلنا نتعجب من قول أبي تمّام : (لا تسقني ماء الملام) فخف علينا بحلواء البنين ، وبحق قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) لابي بكر الصديق (رضي الله عنه):" ما من طامة إلاّ وفوقها طامة "[3]))، وكأن النقاد القدامى فهموا دائما أنَّ ملاك الأمر في الاستعارة هو " تقريب التشبيه في الأصل حتى يتناسب المشّبه والمشّبه به ، ثم يكتفي فيه بالاسم المستعار لانه المنقول عما كان له في الوضع الى المستعار له " [4] ، وهذه الاستعارة النمطية لم ترضِ أبا تمّام وبعده أبا الطّيب وانما جنحا الى الغرابة والبعد في الاستعارة ، والى التشخيص و(الأنسنة) بصورة خاصة . ولا نعدم أمثلة من تأثر أبي الطّيب باستعارات أبي تمّام مع القليل من التحوير الذي لا يخفى على أحد ، كقوله أبي تمّام الذي مرّ بنا :

شاب رأسي وما رأيت مشيب الرأس (م) إلا من فضل شيب الفؤاد [5]

وقول أبي الطّيب :

إلاّ يشـبْفلقـد شـابت لـه كبـد شـيبا إذا خضـبته سـلوة نصـلا [6]

فقد " نقل شيب الفؤاد الى الكبد " [7] ، أما استعارة النصول للسلوة فقد استفادها استفادها من استعارة أبي تمّام لها للأخلاق في قوله :

يتغطـى عـنهم ولكنـه تنصـل أخلاقـه نصـول المشـيب[8]

كما ان (فريص الموت) التي مرت بنا هي امتداد لاستعارة أبي تمّام للموت (قلوبا) في قوله :

شـوس اذا خفقـت عقـاب لـوائهم ظلـت قلـوب المـوت مـنهم تخفـق [9]

ولسنا بصدد تعداد الاستعارات المجسمة لدى الشاعرين لكننا نريد ان نقول ان أبا الطّيب اخذ في اسلوبه " بالتجسيم وخلع صفة الحياة على غير الأحياء بحيث تراها

---

[1]. الديوان : ٢٢/١.

[2]. التبيان : ٥٢/٣.

[3]. الكشف عن مساوئ المتنبي ، الصاحب بن عباد ، تحقيق الدسوقي البساطي ، دار المعارف مصر، ط٢ ، ص٢٥٥ (مطبوع مع الإبانة عن سرقات المتنبي للعميدي) .

[4]. شرح ديوان الحماسة لأبي تمّام ، أبو علي احمد بن محمد بن الحسن الرزوقي (ت٤٢١ هـ) ، نشره احمد أمين ، عبد السلام هارون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٥١ ، ١٠/١ - ١١ .

[5]. الديوان :٣٥٧/١ .

[6]. التبيان : ١٦٤/٣.

[7]. ديوان المتنبي (شرح أبي الحسن علي بن احمد الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨ هـ) تحقيق : فريدريخ ديتريص ، دار صادر ، بيروت ، د.ت ، ٢٤/١ ، الكشف عن مساوئ المتنبي ، ص٢٦٤ .

[8]. الديوان : ١٢٤/١.

[9]. المصدر نفسه ، ٣٩٨/٤.

متحركة سميعة بصيرة مريدة تعتورها ما يعتور النفوس " [1] ، وكأنَّ المعنويات والجمادات كلها تحس وتشعر كالإنسان تماماً .

[1]. المتنبي بين ناقديه ، د. محمد عبد الرحمن شعيب ، دار المعارف – مصر ، ط ٢ ، ١٩٦٩ ، ص٢٩٩.

ب- استعمال الغريب :

لقد أخذ النقاد القدماء على أبي تمّام استعماله غريب الألفاظ كقوله :

كان في الاجفلى وفي النقرى (م) عرفك نضر العموم نضر الوحاد *[1]

يقول ابن المعتز عن هذا البيت " وهذا من الكلام البغيض والغريب المستكره من البدوي ، فكيف به إذا جاء من ابن قرية متأدب ؟! " [2] ، ويقول عن بيت آخر لأبي تمّام انه من الغريب " الذي كان يستبشع مثله من العجاج ورؤبة " [3] ، ويقول صاحب البحتري عن أبي تمّام والبحتري في الموازنة بينهما " ... فشتان ما هما من حضري تشبه بأهل البدو فلم ينفق في البادية ولا عند اكثر الحاضرة ، وبدوي تحضر فنفق في البدو والحضر " [4] ويعلل استعمال أبي تمّام للألفاظ الغريبة بأنه لكي " يدل في شعره على علمه باللغة وبكلام العرب ، فتعمد إدخال ألفاظ غريبة في مواضع كثيرة من شعره " [5] وذلك نحو قوله :

- قدك اتئب اربيت في الغلواء * [6]

وقوله :

- اقرم بكرٍ تباهي أيها الحفض* [7]

وهذا كله اخذ على أبي الطّيب ، فقد عيب باستعمال الألفاظ الغريبة ، وها هو ذا الصاحب بن عباد يعلق تعليقا مشابها لتعليق ابن المعتز على أبي تمّام حين يقول عن قول أبي الطّيب :

جفخت وهم لا يجفخون بها بهم شيم على الحسب الأغر دلائل *[8]

" ... وليس هذا لمثله وهو وليد قرية ، ومؤدب صبية " [9] ، وعُلِّل هذا الاستعمال للغريب وإيراده في الشعر بين الفينة والفينة على انه تعمد أيضاً وتكلف، نستشف هذا من قول الصاحب بن عباد " وأعظم ما يتعاطاه : التفاصح بالألفاظ النافرة والكلمات الشاذة حتى كأنه وليد خباء أو غذي لبن ، ولم يطأ الحضر ، ولم يعرف المدر " [10] ، وعبارة الوحيد الأزدي (ت ٣٨٥ هـ) أوضح حين يقول ان أبا الطّيب كان " يغرب جهده على الناس ... ليريهم انه صاحب لغة " [11] ، وهذا الاستعمال للغريب من الشاعرين – من وجه أخر – لا ينفك عن النزعة والتعصب للعروبة ، فأبو تمّام لا يرى الفصاحة إلا في (نجد) في قوله عن ممدوحيه :

---

[1]. الديوان :٣٦٠/١ .
[2]. الموشح ، ص٤٧٢ .
[3]. المصدر المصدر نفسه ، ص٤٧٥ .
[4]. الموازنة : ٢٧/١ وينظر : رأي الامدي في حوشي أبي تمّام : ٣٠٤/١-٣٠٥.
[5]. المصدر نفسه : ٢٥/١ ، وينظر ٣٠٠/١-٣٠٥ .
[6]. الديوان : ٢٠/١ .
[7]. المصدر المصدر نفسه ، ٢٨٣/٢ .
[8]. التبيان : ٢٥٨/٣ .

*- الاجفلى: الدعوة العامة ، النقرى: الدعوة الخاصة، قِك: حسبك ، أتئب: استحي، أربيت: أسرفت، القرم: الفحل من الابل وهو هنا بمعنى السيد، الحفض : الصغير من الابل وهو هنا بمعنى الذليل، جفخت: فخرت

[9]. الكشف عن مساوئ المتنبي ،(مطبوعة مع الابانة)، ص٢٦٩ .
[10]. المصدر المصدر نفسه ، ص٢٥٤.
[11]. المتنبي كأنك تراه (نصوص نادرة عن سيرته ونقد شعره) ، د.محسن غياض عجيل ، الموسوعة الصغيرة ، دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية) ، العراق –بغداد ، ١٩٩٨ ، ص٩٥.

ومن شك ان الجود والبأس فيهم كمن شك في ان الفصاحة في نجد [1]

أما أبو الطّيب فقد فسر منه ذلك بأنه من أثر البداوة " بما ألف من خطاب الأعراب والأخذ عنهم " [2] ، ولكن هذه الكلمات القديمة الوحشية إذا ما جاورت الألفاظ الحديثة المدنية ، ظهر النشاز وقد تنبه لذلك النقاد القدامى ، يقول ابن المعتز بعد ان يورد عدة أبيات من غريب أبي تمّام " ولم نعب من هذه الألفاظ شيئا ، غير أنها من الغريب المصدود عنه وليس يحسن من المحدثين استعمالها ، لأنها لا تجاور بأمثلتها ولا تتبع أشكالها ، فكأنها تشكو الغربة في كلامهم " [3] ، ويقول الصاحب عن عن هذا أيضاً " والكلام إذا لم يتناسب زيفه جهابذته ، وبهرجه نقاده " [4] ، ويقول الثعالبي :" واذا كان المتنبي من المحدثين ، بل من العصريين ، وجرى على رسومهم في اختيار الألفاظ المعتادة المألوفة بينهم ... حصل كلامه بين طرفي نقيض " [5] ، فإلى جانب الغريب في ديوان الشاعرين نجد الكلمات العامية " وكما كان النقاد النقاد العرب يكرهون الكلمة الوحشية ، فقد كانوا كذلك يكرهون الكلمة العامية ، المبتذلة وقد سماها بعضهم بالسوقية " [6] ، ومصداق ذلك ما قاله الجاحظ من انه " كما لا ينبغي ان يكون اللفظ عاميا ، وساقطا سوقيا، فكذلك لا ينبغي ان يكون غريبا وحشيا ، إلا ان يكون المتكلم بدويا او أعرابياً ، فان الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس ، كما يفهم السوقي رطانة السوقي " [7] ، ولم تُعدم التعابير العامية عند الشاعرين ، مثل قول أبي تمّام :

جليت والموت مبدٍحر صفحته وقد تفرعن في أفعاله الأجل [8]

يقول الآمدي عن عجز هذا البيت بأنه " معنى في غاية الركاكة والسخافة ، وهو من ألفاظ العامة " [9] ، أو قول أبي الطّيب :

أين البطاريق والحلف الذي حلفوا بمفرق الملك والزعم الذي زعموا [10]

حيث رأى أبو هلال العسكري أن هذا قبيح جداً ، " وانما سمع قول العامة حلف برأسه ، فأراد ان يقول مثله ، فلم يستوِ له ، فقال : بمفرق الملك فجاء في غاية الهجنة " [11] ، وهذه الظاهرة في شعرهم وهي (اختلاط العامي المولد بالغريب الوحشي) حذر منها اغلب النقاد القدماء ، فقد ذهبوا الى أن الشاعر " إذا أسس

---

[1]. الديوان : ١٢٠/٢ .
[2]. ذكرى أبي الطّيب بعد ألف عام ، ص٢٢١.
[3]. الموشح ، ص٤٧٦.
[4]. الكشف عن مساوئ المتنبي ، ص٢٥٧.
[5]. يتيمة الدهر :٢٩٦/١.
[6]. النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري ، نعمة رحيم العزاوي ، منشورات وزارة الثقافة والفنون – الجمهورية العراقية ، دار الحرية للطباعة ، ١٩٧٨، ص ٢٢٤.
[7]. البيان والتبيين ، أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ (ت٢٦٦هـ) ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ، مطبعة المدني ، ط٥ ، ١٩٨٥ ، ١٤٤/١ .
[8]. الديوان : ١٦/٣.
[9]. الموازنة : ٢٣٩/١ وينظر ٢٤٦/١ .
[10]. التبيان : ١٦/٤ .
[11]. كتاب الصناعتين ، ص ١٥٥.

شعره على أن يأتي فيه بالكلام البدوي الفصيح لم يخلط به الحضري المولد ، وإذا أتى بلفظة غريبة اتبعها أخواتها ، وكذلك إذا سهل ألفاظه لم يخلط بها الألفاظ الوحشية النافرة الصعبة القيادة " [١] ، ونحن نجد هذه الظاهرة في شعر أبي تمّام وأبي وأبي الطّيب . فأبو تمّام يستعمل كلمة (مثعنجر) في قوله :

كم ليلة آسى البلاد بنفسه فيها ويوم وبله مثعنجر [٢]

ويستعمل في القصيدة نفسها كلمة (يتكسر) في قوله :

رقت حواشي الدهر فهي تمرمر وغدا الثرى في حَلْيهِ يتكسر [٣]

وهي " حضرية مولدة " [٤] ، وأبو الطّيب يستعمل كلمة (الفياش) بمعنى المفاخرة في قوله :

تزيل مخافة المصبور عنه وتلهي ذا الفياش عن الفياش[٥]

" وهذا مثل استعماله للغريب النادر " [٦] ، ويستعمل كلمة (القماش) العامية المبتذلة في قوله :

ونهب نفوس أهل النهب أولى بأهل المجد من نهب القماش [٧]

ويستعمل كلمات عامية اخرى كقوله :

خلوفيةٌ في خلوقِها سويداء من عنب الثعلب [٨]

يقول أحد نقاد القرن الخامس الهجري " فان عنب الثعلب مما أقول ان العامة لو نظمت شعرا لترفعت عن ذكره " [٩] ، ولن نعدم تأثر أبي الطّيب بأبي تمّام في بعض الكلمات الغريبة مثل كلمة (سدك) في قول أبي تمّام :

سدكت به الأقدار حتّى أنها لتكاد تفجؤه بما لم يقدر [١٠]

وقوله :

سدك الكف بالندى عائر السمـ ع الى حيث صرخة المكروب [١١]

---

[١]. عيار الشعر ، محمد احمد بن طباطبا العلوي ، شرح وتحقيق : عباس عبد الستار ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٨٢ ، ص١٢ .

[٢]. الديوان : ١٩٢/٢.

[٣]. المصدر نفسه : ١٩١/٢.

[٤]. الوساطة ، ص٣٦.

[٥]. التبيان : ٢١٥/٢.

[٦]. من معجم المتنبي (دراسة لغوية تاريخية) ، د. ابراهيم السامرائي ، منشورات وزارة الاعلام - الجمهورية العراقية ، دار الحرية للطباعة - بغداد ، ١٩٧٧ ، ص٢٠٧ .

[٧]. التبيان : ٢١٠/٢ وينظر معجم المتنبي ، ص٢٠٣ ، ٢٠٧.

[٨]. المصدر نفسه : ١٤٧/١.

[٩]. سر الفصاحة ، ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦ هـ) ، شرح وتصحيح : عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة ومطبعة محمد علي وأولاده ، القاهرة ، ١٩٦٩، ص٦٤.

[١٠]. الديوان : ٤٥٢/٤.

[١١]. المصدر نفسه : ١٢٢/١.

" والسدك : المولع بالشيء في لغة طيء " [١] استعملها أبو الطّيب في قوله :

مـــا ســـدكت علـــة بمـــورود أكـــرم مـــن تغلـــب بـــن داود [٢]

وأحيانا يستعمل أبو تمّام لغة في (اللذ) في قوله :

أدنيـت رحلـي الـى مـدن مكارمـه الـي يهتبـل اللـذ حيـث اهتبـل [٣]

فيحاكيه أبو الطّيب فيستعمل (اللذ) في قوله :

لو لم تكن من ذا الورى اللذ منك هُوْ عقمـــت بمولـــد نســـلها حـــوّاء [٤]

وفي قوله :

وإذا الفتـى طـرح الكـلام معرضـا فـي مجلـس اخـذ الكـلام اللـذ عنـا [٥]

أو يستعمل أبو تمّام (هنّك) بدلا من (انك) في قوله :

أربيعنـا فـي تسـع عشـرة حجـة حقـــا لهنّـــك للربيـــع الأزهـــر [٦]

فنجد هذا الاستعمال عند أبي الطّيب أيضاً في قوله :

لهنّـــك أولـــى لائـــم بملامـــة وأحـوج ممـن تعـذلين إلـى العـذلِ [٧]

ان استعمال الألفاظ الغريبة واللغات الشاذة تدل على ضعف التجربة الشعرية وقلة مساسها بقلب وفكر الشاعر إضافة الى ان " جمال الألفاظ وحسنها وصلتها بالمعاني مهمة في الكلام البليغ والغرابة تفقدها ذلك الحسن والجمال " [٨] ، وإذا استعمل مع الألفاظ الغريبة ، ألفاظ عامية او مولدة- وهذا لابد من ان يكون بحكم التطور - حصل النشاز وبدأ (التلفيق) فأبو تمّام يستعمل لفظة (فضول) في قوله :

بلى كان لي في الصبر عنك معول ومندوحة لولا فضولي في الحب

" وهي لفظة عامية غير عربية " [٩] ويستعمل أبو الطّيب هذه اللفظة أيضاً في قوله مخاطباً كافوراً :

ولولا فضول النـاس جئتك مادحاً بما كنت في سري به لك هاجيا [١٠]

ولكن هذا (التلفيق) في ديواني الشاعرين لا يعد شيئا أمام التلفيق في لغة شعراء النهضة في العراق ولا سيما الرصافي والزهاوي [١١] ، ولكننا يمكن ان نقول ان بذور (التلفيق) بدأت عند أبي الطّيب وأبي تمّام ، فلقد أراد أبو تمّام ان يوفق بين

---

[١]. الموشح ، ص٤٨٧.
[٢]. التبيان : ٢٦١/١.
[٣]. الديوان : ١٨/٣.
[٤]. التبيان : ٣١/١.
[٥]. المصدر نفسه : ٢٠٦/٤.
[٦]. الديوان : ١٩٣/٢.
[٧]. التبيان : ٣/ ٢٨٩.
[٨]. بحوث بلاغية ، د.احمد مطلوب ، مطبوعات المجمع العلمي – بغداد ، ١٩٩٦ ، ص٥٤ .
[٩]. الديوان : ١٥٤/٤ الهامش رقم (٢) .
[١٠]. التبيان : ٢٩٥/٤.
[١١]. لغة الشعر الحديث في العراق (بين مطلع القرن العشرين والحرب العالمية الثانية) ، د. عدنان حسين العوادي ، منشورات وزارة الثقافة والأعلام ، الجمهورية العراقية ، دار الحرية للطباعة- بغداد ، ١٩٨٥، ص٢٣٩-٢٧٨.

المعاني الحضرية والألفاظ البدوية وكان " يتجاذب بين الغريب وبين الحداثة ، ومن هنا كان عذابه وعذاب اللغة معه " [١] ، ومع ان أبا الطّيب زاد في الغريب وبالغ فيه " " إلا ان أبا تمّام يقع عليه اللوم أساسا باعتباره رأس المدرسة " [٢].

ج- الغموض – التعقيد :

إذا كان الشعر عند أهل العلم به- كما يقول الآمدي – ليس إلا " حسن التأتي ، وقرب المأخذ... " [٣]، وإذا كان الكلام لا يستحق اسم البلاغة " حتى يسابق معناه لفظه ، ولفظه معناه ، فلا يكون لفظه الى سمعك اسبق من معناه الى قلبك " [٤] ، فان بعض شعر أبي تمّام لم يكن قريب المأخذ ، ولم تصل معانيه الى القلب بالسرعة نفسها التي وصلت بها ألفاظه الى السمع ، بل " صار كثير مما أتى به من المعاني لا يعرف ولا يعلم غرضه فيها إلا بعد الكد والفكر وطول التأمل ، ومنه ما لا يعرف معناه إلا بالظن والحدس " [٥] وذلك كقوله :

ان كان مسعود سقى أطلالهم سبل الشؤون فلست من مسعود [٦]

حيث يقول الآمدي عن هذا البيت انه " من معاني أبي تمّام الغامضة التي يسال عنها وما زلت أرى الناس قديما يخبطون فيه " [٧] ، وعلّة الغموض في هذا البيت هو (مسعود) من هو مسعود ؟ وما علاقته بالبكاء على الأطلال ؟ ثم قوله (من مسعود) هل يدل على ان مسعودا من آبائه ؟ أو هي بمعنى أخر[٨] ؟ ، ومثل هذا البيت قوله يصف الخمرة بأنها :

جهمّيةُ الأوصاف إلا انهم قد لقبوها جوهر الأشياء [٩]

وقوله : (جهمية) نسبة الى (جهم بن صفوان) ، وهو رئيس فرقة من الفرق الإسلامية تسمى " الجهمية " [١٠] ، ووجه الإبهام في هذا البيت " ان لجهم مذاهب كثيرة ، وآراء مختلفة متشعبة ، لم يدل فحوى كلام أبي تمّام على شيء منها يصلح ان يشبه به الخمر وينسب اليه ، الا ان يتوهم المتوهم فيقول : إنما أراد كذا

---

[١]. أبو تمّام وقضية التجديد في الشعر ، ص١١٩.
[٢]. المصدر المصدر نفسه ، ص١٢٠.
[٣]. الموازنة : ٤٢٣/١.
[٤]. البيان والتبيين :١١٥/١.
[٥]. الموازنة ١٣٩/١.
[٦]. الديوان : ١/ ٣٨٦.
[٧]. الموازنة :٥٦٣/١.
[٨]. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، أبو العباس احمد شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت٦٨١هـ) ، حققه : د.إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت - لبنان، ١٩٦٩، ١٢/٢ .
[٩]. الديوان : ٣٠/١ .
[١٠]. الفرق بين الفرق ، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي (ت٤٢٩هـ) ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، د.ت ، ص٢١١-٢١٢.

وكذا، من مذاهب جهم ، من غير ان يدل الكلام منه على شيء بعينه " [١]، وأحيانا يأتي الغموض في شعر أبي تمّام من " المعاظلة " [٢] ، وما يلحق بها من (حذف او او تقديم وما شابه) كقوله :

يدي لمن شاء رهن لم يذق جرعا من راحتيك درى ما الصاب والعسل [٣]

يقول الآمدي " لفظ هذا البيت مبني على الفساد ، لكثرة ما فيه من الحذف... " [٤] او بسب التعقيد كقوله :

يوم أفاض جوى اغاض تعزياً خاض الهوى بحري حجاه المزبد [٥]

يقول الآمدي عن هذا البيت انه في " غاية ما يكون من التعقيد " [٦] ، ويقول القاضي الجرجاني " ولو كان التعقيد وغموض المعنى يسقطان شاعرا لوجب ان لا يرى لابي تمّام بيت واحد ، فانا لا نعلم له قصيدة تسلم من بيت او بيتين قد وفر من التعقيد حظهما ، وأفسد به لفظهما ، ولذلك كثر الاختلاف في معانيه ، وصار بابا منفردا ، ينتسب اليه طائفة من أهل الأدب ، وصارت تتطارح في المجالس مطارحة أبيات المعاني والغاز المعمى " [٧] ، وهذا هو أقوى أسباب نفور ابن الأَعرابي من شعر أبي تمّام " لانه كان يرد عليه من معانيه ما لا يفهمه ولا يعلمه ، فكان إذا سئل عن شيء منها يأنف ان يقول:لا أدري ، فيعدل الى الطعن عليه" [٨] ، فديوان أبي تمّام " مشحون " [٩] بالغموض والتعقيد ، وأحيانا يبدأ أبو تمّام بمطلع غامض كقوله :

هنَّ عوادي يوسف وصواحبه فعزماً فقدما أدرك السؤل طالبه [١٠]

مما دعا بابي العميثل وأبي سعيد الضرير ان يسألاه " لم لا تقول ما يفهم ؟ فقال : ولم لا تفهمان ما يقال ؟ " [١١] ، وفي رواية أخرى أن أبا سعيد الضرير قال للكاتب عن قصيدة أبي تمّام كلها : " القها ، أخزى الله حبيبا ، يمدح مثل هذا الملك الذي فاق أهل زمانه كمالا بقصيدة يرحل بها من العراق الى خراسان ، فيكون أولها بيت نصفه مخروم والنصف الثاني عويص ! " [١٢] ، ومثل هذا المطلع طلع به أبو الطّيب على ممدوحيه ومتلقيه في قوله :

وفاؤكما كالربع اشجاه طاسمه بان تسعدا والدمع اشفاه ساجمه [١٣]

---

[١]. كتاب الصناعتين ، ص٤٠.
[٢]. ينظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، د.أحمد مطلوب ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ٢٧٣/٣.
[٣]. الديوان : ١١/٣ .
[٤]. الموازنة :١٩٠/١.
[٥]. الديوان : ٤٦/٢.
[٦]. الموازنة : ٢٩٦/١.
[٧]. الوساطة ، ص٤١٧.
[٨]. الموازنة : ٢٢/١ .
[٩]. الوساطة ، ص٤١٩.
[١٠]. الديوان : ٢١٦/١.
[١١]. الموازنة : ١٩/٢.
[١٢]. الموشح: ، ص٥٠٠.
[١٣]. التبيان : ٣٢٥/٣.

يقول القاضي الجرجاني : " ومن يرى هذه الألفاظ الهائلة والتعقيد المفرط فيشك ان وراءها كنزا من الحكمة ، وان في طيها الغنيمة الباردة ، حتى اذا فتشها وكشف عن سترها ، وسهر ليالي متواصلة فيها حصل على ان ... " ، ويشرح البيت ثم يقول " فما هذا من المعاني التي يضيع لها حلاوة اللفظ ، وبهاء الطبع ، ورونق الاستهلال ، ويشح عليها حتى يهلهل لأجلها النسج ، ويفسد النظم ، ... ويقدم ويؤخر ويعمّى ويعوّص " [1] ، ومثل هذا المطلع أيضا قوله :

أحـــاد أم ســـداس فـــي أحـــاد لييلتنـــا المنوطـــة بالتنـــاد [2]

والذي " تعرض فيه لوجوه من الطعن " [3] ، وهنا قد نسأل ، لماذا كان الغموض في أشعارهم ؟ وإذا كان الغموض في الشعر الغربي الحديث هو " حرد من جانب الشعر ناجم عن اشتداد العناية بالعلم في العصر الحديث " [4] ، فما يكون من جانب جانب شعر أبي تمّام وأبي الطّيب ؟ ! انه قد يكون العكس من ذلك تماما ، فهو ناجم من اشتداد العناية باللغة والشعر من قبل السلطة الحاكمة وحاشيتها من العلماء واللغويين والكتاب والأدباء، ويمكن أن نقسم الغموض لدى الشاعرين إلى قسمين هما:

- **غموض متعمد .**
- **غموض غير متعمد .**

فالغموض المتعمد لدى أبي تمّام يعلله القاضي الجرجاني مع (الغريب) بأنه " جريرة التكلف " [5] أي انه " كان يتعمد اجتلاب المعاني الغامضة " [6] ، والتعقيد الذي يؤدي الى الغموض او التعسف في اللغة هو متعمد أيضاً لإظهار تَمكّنْ الشاعر من لغته ، فهو كما يقول ابن جنّي " مؤذن بصياله وتخمطه ، وليس بقاطع دليل على ضعف لغته ، ولا قصوره عن اختيار الوجه الناطق بفصاحته بل مثله في ذلك عندي مثل مجري الجموح بلا لجام ، ووارد الحرب الضروس حاسرا من غير احتشام فهو وان كان ملوما في عنفه وتهالكه ، فانه مشهود له بشجاعته وفيض مُنَّته " [7] ، وهكذا كان يتعمد أبو تمّام وأبو الطّيب التعقيد والغموض مثلما تعمدا وتكلفا الغريب في كثير من الأحيان أما أبو الطّيب فقد تعمد الغموض في قوله :

وكـــان ابنـــا عـــدو كـــاثراه لـــه يـــاءي حـــروف انيســـيان [8]

---

[1]. الوساطة : ص٩٨.
[2]. التبيان : ٣٥٣/١.
[3]. الوساطة ، ص٩٩ و ص٤٥٧-٤٥٨.
[4]. الأديب وصناعته ، إشراف روي كاودن ، ترجمة : جبرا ابراهيم جبرا، منشورات مكتبة منيمنة ، بيروت ، ١٩٦٢ ، ص٥٤.
[5]. الوساطة ، ص١٩.
[6]. عمود الشعر ، ص٤٩ .
[7]. الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق : د. محمد علي النجار ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٠ ، ، ٢ / ٣٩٤ .
[8]. التبيان : ٢٦١/٤.

فهو يقول لصديقه علي بن حمزة البصري " أتظن ان هذا الشعر لهؤلاء الممدوحين ، هؤلاء يكفيهم منه اليسير ، وإنما اعمله لك لتستحسنه ، أي لك ولأمثالك " [١] ، والحقيقة ان الغموض المتعمد - فضلا عن انه من رديء شعر الشاعر - هو عيب في الأسلوب " والحق ان أي عيب يعمي الاسلوب ويحول دون الفكر والمعنى المراد من العبارة يضع من قيمة الاسلوب ويحط من قيمة الشعر ، لان ذلك سيقعد به عن الإثارة والتأثير اللذين هما من نتائج الفهم والإدراك . واذا فقد الشعر هذه الغاية ضاع كل ما له من قيمة ومنزلة .. وهبط الى مستوى المتون والحواشي التي تعيي الباحثين في فهم العبارة وتستنفذُ منهم كثيرا من الجهد والفكر حتى يستطيعوا الاهتداء الى المعنى المراد من العبارة الملتوية الغامضة المعقدة " [٢] ، والغرابة والتعقيد وغيرهما من الظواهر التي تواطأ عليها الشاعران يمكن ان يدخلا في ظاهرة فضفاضة في شعر الشاعرين وهي (التفاوت) ومعناها ان الاسلوب (النسيج) لا يأتي متساويا سواء في الديوان او في القصيدة الواحدة ، ويضرب القاضي الجرجاني مثالا على ذلك قصيدة أبي تمّام التي يقول فيها :

لو جاز سلطان القنوع وحكمه ... في الخلق ما كان القليل قليلا
من كان مرعى عزمه وهمومه ... روض الأماني لم يزل مهزولا[٣]

ثم يقول :

لله درك أي معبر قفرة ... لا يوحش ابن البيضة الإجفيلا
أو ما تراها لا تراها هزة ... تشأى العيون تعجرفا وذميلا[٤]

يقول الجرجاني " فنغَّص عليك تلك اللذة ، وأحدث في نشاطك فترة " [٥] ، ويضيف قائلاً : " وهذه الطريقة أحد ما نعى على أبي الطّيب " [٦] ، وبعد ان يسرد القاضي الجرجاني أبياتاً جيدة لأبي تمّام يقول عن أبي تمّام انه يترقى " في هذه الدرج العالية ، ويتصرف هذا التصرف المعجز ، ثم ينحط الى الحضيض ويلصق بالتراب " [٧] ، ويسرد أبياته الرديئة ، وهذه الطريقة – كما قال القاضي الجرجاني- تبناها أبو الطّيب واشتهر بها ، يقول الثعالبي عن أبي الطّيب وهذه الظاهرة تحت عنوان (اتباع الفقرة الغراء بالكلمة العوراء) ، " وما أكثر ما يحوم حول هذه الطريقة ، ويعود لهذه العادة السيئة ، ويجمع بين البديع النادر والضعيف الساقط ، فبينا هو يصوغ افخر حلي ، وينظم احسن عقد ، وينسج أنفس وشي ، ويختال في حديقة ورد ، إذا به وقد رمى بالبيت والبيتين في إبعاد الاستعارة ، او تعويص اللفظ او تعقيد المعنى... فمحا تلك المحاسن ، وكدر صفاءها، وأعقب حلاوتها مرارة لا

---

[١]. الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي ، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ) ، تحقيق : د. محسن غياض ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٠ ، ص ١٨٢ ، وينظر المقدمة ، ص١٢.
[٢]. المتنبي بين ناقديه ، ص ١١٥ .
[٣]. الديوان : ٦٧/٣.
[٤]. المصدر نفسه : ٦٨/٣-٦٩.
[٥].الوساطة ، ص ٢٣.
[٦]. المصدر نفسه ، ص٢١-٢٢ .
[٧]. المصدر نفسه ، ص٦٧.

مساغ لها ، واستهدف لسهام العائبين ، وتحكك بالسنة الطاعنين " [1] ، وهذه الطريقة متعمدة أيضاً في كثير من أشعار أبي تمّام وأبي الطّيب ، مع اننا لا ننكر أبدا ان الشاعرين يهبطان بفنهما دون ان يتعمدا أو يتكلفا ذلك ، لكننا ننكر تماما ان يكون ذلك الهبوط والانحطاط في الاسلوب والمعنى طبيعيا او على السجية ، وثمة رواية إن نحن قرأناها بإمعان عرفنا ذلك او جزءاً منه ، إذ يروى انه قيل لأبي تمّام " تقول الشعر الجيد ثم تقول البيت الرديء ! فقال : مثل هذا مثل رجل له عشرة بنين منهم واحد أعمى فلا يحب ان يموت " [2] ، ويعلق المرزباني على هذا فيقول " وهذه حجة ضعيفة جداً " [3] ، وليس يخفى على أحد ان هذه الحجة ليست ضعيفة جدا فقط بل هي هي قياس مع فارق كبير، فالشاعر هو الذي يضع أشعاره ويستطيع ان يعدل ويبدل بها ما شاء ، او يشطب على أشعاره او يمزق أوراقه ان أراد ، فليس هو بمسلوب الإرادة في ذلك كالذي له بنون عشرة منهم واحد عمى لا يستطيع ان يهب له البصر ، وفي رواية أخرى فيها انه قيل لأبي تمّام : " لو أسقطتَ هذا البيت " فضحك وقال لمن سأله ذلك " أتراك أعلم بهذا مني ؟ إنما هذا مثل رجل..." [4] ، إذن فأبو تمّام لا يخفى عليه الرديء من شعره ، وكيف يخفى عليه وهو الذي أظهره الى الناس ، وهي طريقة أبي تمّام – وطريقة أبي الطّيب من بعده – للشهرة .. في الحسن أولاً .. وفي الرديء ثانياً .. و(خالف تعرف) .

أما القسم الثاني من الغموض او الضرب فهو الغموض الشعري الرائع الذي يكون به البيت او الشعر حمّال أوجه وله عدة تأويلات ، كقول أبي تمّام :

ولهت فاظلم كل شيء دونها وأنار منها كل شيء مظلم [5]

" فان الوله والظلمة والإضاءة كل ذلك مفهوم المعنى ، لكن البيت بجملته يحتاج فهمه الى استنباط ، والمراد به انها... " [6] ، وتكثر التأويلات والشروح وتتعدد وتتعدد المعاني والتصورات " وهكذا الشعر دائما لا نزال كلما تدبرنا فيه أدركنا منه معاني متنوعة. وقد يكون البيت واضحا ، ولكن كلما أمعنا النظر فيه دبت في نواحي أنفسنا معان جديدة كمعاني الجمال في الطبيعة " [7] ، وهكذا كان غموض أبيات أبي الطّيب الرائعة مثل قوله :

لا تعذل المشتاق في أشواقه حتى يكون حشاك في أحشائه [8]

او قوله :

واظلم أهل الظلم من بات حاسداً لمن باتَ في نعمائه يتقلب [9]

---

[1]. يتيمة الدهر : ١٨٤/١.
[2]. الموشح ، ص٤٩٣.
[3]. المصدر نفسه .
[4]. أخبار أبي تمّام ، ص١١٤- ١١٥.
[5]. الديوان : ٢٤٨/٣.
[6]. المثل السائر : ١٤٥/١.
[7]. في النقد الأدبي ، د.شوقي ضيف ، دار المعارف – مصر ، ط٥ ، ١٩٧٧ ، ص١٣٦ .
[8]. التبيان : ٦/١.
[9]. المصدر نفسه : ١٨٥/١.

وفي أمثال هذا الغموض وهذا الشعر لا نقرأ الشعر منفصلا عنا " وإنما نقرأه من خلال خلجاتنا ومشاعرنا ، ومن اجل ذلك يكثر فيه التأويل لان كلاً منا يحكي صداه في نفسه وما أثار فيه من هواجس وخواطر " [١] ، والحق ان النقاد العرب القدامى قد فرقوا بين نوعي الغموض والتعقيد ، فقد رحبوا بالغموض * الذي يقبل عدة تأويلات - كما سبق - ، أما قول أبي تمّام :

كريم متى امدحه أمدحه والورى معي ومتى ما لمته لمته وحدي [٢]

فقد فسّره عبد القاهر الجرجاني بأنه " شيء يعرض للشاعر إذا تكلف وتعمل ، فأما المرسل نفسه على سجيتها فلا يعرض له ذلك " [٣] ، ويقول – في كتاب آخر - عن بيت أبي الطّيب :

ولذا اسم أغطيه العيون جفونها من انها عمل السيوف عوامل [٤]

" وانما ذمّ هذا الجنس لانه أحوجك الى فكر زائد على المقدار الذي يجب في مثله " [٥] ، وكأنه يذهب الى اننا إذا خسرنا جهداً ووقتاً في تفسير البيت الشعري الغامض والمعقد فإننا يجب ان نربح - في المقابل - معنىً طريفاً يستحق ذلك الجهد والعناء والوقت ، فالمعنى يجب ان يكون أهلاً للتعقيد وإلا كان حال من يطلبه " كالغائص في البحر يحتمل المشقة العظيمة ويخاطر بالروح ثم يخرج الخرز .. ولذلك كان أحق أصناف التعقد بالذم ما يتعبك ثم لا يجدي عليك .. " [٦].

وبعد ، فماذا يمكن ان نستنتج من نتائج في هذا الفصل ؟ ان أهم ما يمكن استنتاجه من النقاط هي :

١- ان تطابق أو تشابه المؤاخذات التي أخذت على الشاعرين .. تعني من وجه – التشابه في الأساليب والمذهب الشعري وفي اللغة أيضاً.

٢- لقد افاد أبو الطّيب من تجربة أبي تمّام النقدية مع النقاد واللغويين والوسط الأدبي ، فبعد ان " شغل مذهب أبي تمّام المحافل الأدبية في القرن الثالث الهجري " [٧] ، جاء أبو الطّيب ليثير حول فنه - في القرن الرابع الهجري - زوبعة عنيفة من النقد فقد استعار أبو الطّيب من أبي تمّام أساليب اسـ تفزاز النقاد واللغويين وقد نجح نجاحاً فائقاً.

---

[١]. في النقد الأدبي ، ص ١٣٧.

*. وقد ضاق النقاد بالأدب الذي لا يستدعي جهدا ، ولا يتطلب فهمه شيئا من المماطلة ، ينظر : النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري ، ص٣٠٢ –٣٠٨ .

[٢]. الديوان : ١١٦/٢.

[٣]. دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، قرأه وعلق عليه : محمود محمد شاكر ، الناشر مكتبة الخانجي – القاهرة ، د.ت ، ص١٦.

[٤]. التبيان : ٢٥٢/٣.

[٥]. أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : هـ . ريتر ، ط ٢ ، ١٩٧٩ ، أعادت طبعه بالأوفست بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد ، ص١٢٩.

[٦]. المصدر نفسه .

[٧]. شرح الصولي لديوان أبي تمّام ، دراسة وتحقيق : خلف رشيد نعمان ، الجمهورية العراقية– وزارة الإعلام ، ط ١ ، ١٩٧٧ ، المقدمة : ٣٩/١.

٣- ان أبا الطّيب زاد على أبي تمّام – مرة أخرى – في أساليب أبي تمّام التي أثارت النقد حوله وخاصة استعمال الغريب والتعقيد والغموض يقول ابن المستوفي في مقدمة شرحه على ديواني الشاعرين : " فإني وجدت الناس كثيرا ما يتجاذبون القول فيما أشكل من معاني أبي تمّام حبيب بن أوس الطائي ، وأبي الطّيب احمد بن الحسين الجعفي، لميلهما كثيرا عن الطبع إلى التكلف ، وعدولهما غالبا عن العفو الى المستكره، إلا ان أبا الطّيب أعظمهما معنىً مستغلقاً ، وأكثرهما تركيباً مستبهماً " [١] .

[١]. النظام في شرح شعر المتنبي وأبي تمّام ، أبو البركات شرف الدين المبارك بن احمد المعروف بـ (ابن المستوفي) ، دراسة وتحقيق : د. خلف رشيد نعمان ، وزارة الثقافة والإعلام ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ١/ ١٩٢ .

الفصل الرابع

ظاهرات بلاغية واسلوبية مشتركة

- الطباق
- الترديد
- المعارضة

أن أهم فنين بلاغيين استعملها الشاعران هما (الطباق) و (الترديد) ، والذي نراه – في هذا الشأن - ان أبا الطّيب قد لاحظ ببصيرته النافذة ما صنع أبوتمّام بهذين الفنين البلاغيين، وكيف صاغ منهما أروع المعاني وأعمقها ، وخاصة الطباق ، وكان أبا تمّام أعطى أبا الطّيب السر، فتبنى أبو الطّيب هذين الفنين البلاغيين وبنى بهما أفكاره ورسم صوره ، وهذا لا يعني انه أهمل الفنون البلاغية الأخرى التي استعملها أبو تمّام بل كرر وأعاد تلك الفنون كلها او جلها ولكن ذلك لا يثبت – لدينا – تأثُّراً او تأثيرا مثلما هو الشان في (الطباق) و (الترديد) ، ولأهمية هذين الفنين في شعر الشاعر رأينا ان نفردهما بالدراسة لنرى مقدار التشابه او مدى التقارب بين الشاعرين في استعمالهما هذين الفنين .

الطباق

ليس الطباق عند أبي تمّام فنا بلاغيا نمطياً كما هو عند أي شاعر سبقه ولا هو أداة فنية عادية لديه فقد " اعتمد أبو تمّام اعتمادا يكاد يكون كاملاً على هذه الأداة" [1] ، وكذلك كان الطباق لدى أبي الطّيب فهو القوام الفني لشعره " لا يعدل عنه ولا يكاد يعدل به أداة فنية أخرى " [2] ، ولا فروق جوهرية بين الطباق وبين شقيقته المقابلة " واذن فلا ضير ان نوحد مصطلح المقابلة والطباق وندخل الفنين في نوع

[1]. أبو تمّام وقضية التجديد في الشعر، ص٢٠٤.
[2]. مع المتنبي، ص٧٣.

واحد نسميه الطباق " [1] ، والحق ان الفنون البلاغية التي وضعت تحت راية (علم البديع) – وأولها الطباق – " ليست حلية تقتسر ، وانما هي ركن مهم في العبارة لا يستغنى عنها " [2] في الكلام البليغ ، فلم يكن الطباق طلاء خارجيا للنص عند أبي تمّام وأبي الطّيب بل كان أساساً في البناء ودعامة وعمودا من أعمدة الكلام، ولم يكن هدفه تحسين وتزيين العبارة حسب ، بل كان هدفه الأساس هو (توليد المعاني) وبث الروح في النص من خلال (كهربته) بشحنات سالبة وموجبة من الكلمات المتضادة او المتغايرة ، وقد رأينا كيف استخرج الشاعران قوانين (للخير والشر) من خلال الأضداد ، ومن ينظر في (طباق) أبي الطّيب لا يعدم ان يرى تأثيرا كبيرا كثيرا بـ(طباق) أبي تمّام ، فإذا قال أبو تمّام متحدثا عن مدينة (أذربيجان) وحاليها قبل التحرير وبعده :

وكانت وليس الصبح فيها بأبيض فأمست وليس الليل فيها بأسود [3]

فان أبا الطّيب يأخذ هذا الطباق عينه في الكلام عن (منبج) قبل قدوم الممدوح وبعده ويقول :

فالليل حين قدمت فيها ابيض والصبح منذ رحلت عنها اسود[4]

مما دعا ابن وكيع الى ان يقول : " فهذا أخذ فاضح وغصب واضح " [5] ، او قول أبي تمّام عن الشيب :

له منظر في العين أبيض ناصع ولكنه في القلب أسود اسفعُ [6]

فيقول أبو الطّيب :

أبعد بعدت بياضاً لا بياض له لأنت اسود في عيني من الظلم[7]

أو يتأثر طباق الأفعال عند أبي تمّام، فإذا قال أبو تمّام:

وكم مشهد أشهدته الجود فانقضى ومجدك يستحيا ومالك يقتل [8]

ويقول أبو الطّيب مطابقاً فعلي (الإ حياء) و (القتل):

وتحيي له المال الصوارم والقنا ويقتل ما يحيي التبسم والجدا[9]

وأحياناً يلتفت أبو تمّام الى طباقات القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ﴾ [10] ، فالطل اضعف المطر والوابل أشده " ومنه يكون السيل " [1]، فيقول عن قلم ابن الزيات :

---

[1]. البلاغة والتطبيق ، د. أحمد مطلوب، د. حسن البصير، الجمهورية العراقية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي،ط١، ١٩٨٢، ص٤٤٢.

[2]. بحوث بلاغية ، ص١٧٩.

[3]. الديوان: ٢٩/٢.

[4]. التبيان : ٣٣٤/١

[5]. المنصف للسارق والمسروق منه: ٢١٣/١.

[6]. الديوان : ٣٢٤/٢.

[7]. التبيان : ٣٥/٤.

[8]. الديوان : ٧٣/٣.

[9]. التبيان : ٢٨٢/١.

[10].سورة البقرة (٢٦٥).

له ريقة طلٌّ ولكنَّ وقعها بآثاره في الشرق والغرب وابل [٢]

ويقول أبو الطّيب في هذا الطباق عينهمخاطباً سيف الدولة:

إذا مطرت منهم ومنك سحائب فوابلهم طلٌّ وطلك وابل [٣]

ويبدو تأثر أبي الطّيب طباقات أبيتمّ امكثر وضوحاً حين يطابق بين الألفاظ الدالة على الجنس والتي اشتهر أبو تمّام بالإكثار منها في شعره بعد ان " هذب الجنس وارتفع به من اللذة الدنيئة الى القيمة الروحية" [٤] ، كقول أبي تمّام في إحدى قصائده واصفا قصيدته :

أما المعاني فهي أبكار إذا نصت ولكن القوافيَ عون [٥]

ويطابق أبو الطّيب بين (العون) و (العذارى) وهي مرادفة لأبكار أبيتمّ ام فيقول عن كافور:

ترفع عن عون المكارم قدره فما يفعل الفعلات إلا عذاريا [٦]

ويكثر الشاعر من خلال الطباق من اسلوب (الإدهاش والمفارقة) حين يكون الضد من الضد نفسه ، كقول أبي تمّام:

كم أعطيت راحتاه من نشب سلامة المعتفين في عطبه [٧]

وهو ما يدهش به أبو الطّيب حيث يقول:

لعل عتبك محمود عواقبه فربما صحت الأجسام بالعلل [٨]

ومن أساليب (المفارقة والإدهاش) ان الضد هو الضد نفسه - في ضرب من المبالغة .

كقول أبي تمّام:

متعت كما متع الضحى في حادثٍ داج كأن الصبح فيه مغرب [٩]

أو قوله:

أيامنا مصقولة أطرافها بك والليالي كلها أسحار [١٠]

وهذا ما يستعمله أبو الطّيب كثيراً كقوله مخاطباً سيف الدولة :

طوال قنا تطاعنها قصار وقطرك في ندى ووغى بحار [١]

---

[١]. أدب الكاتب ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى ، مطبعة السعادة – مصر، ط٤، ١٩٦٣ ، ص ٧٧ .

[٢]. الديوان : ١٢٣/٣.

[٣]. التبيان : ١١٦/٣.

[٤]. الصورة الفنية في شعر أبي تمّام ، ص٢٤٦.

[٥]. الديوان : ٣٣٠/٣.

[٦]. التبيان : ٢٨٨/٤.

[٧]. الديوان : ٢٧٢/١.

[٨]. التبيان : ٨٦/٣ .

[٩] الديوان : ١٣٠/١.

[١٠]. الديوان : ١٨١/٢.

وقد مر بنا قوله:
فوابلهم طلٌّ وطلُّك وابل

أما (نَـ وافر الأضداد) التي اشتهر بها أبوتمّـامواستعملها كثيراً فلم " تخل منها صفحة من صفحات ديوانه " [٢] ، والتي وضّحها بقوله مخاطباً ممدوحه وقبيلته :

ابغضـــوا عـــزكم وودوا نـــداكم فقـــروكم مـــن بغضـــةوواداد
لاعدمتم غريب مجد ربقتم فـي عـراه نـوافر الأضـداد[٣]

فقد استعملها أبو الطّيب كثيراً ، ويبدو ان هذا الاسلوب قد أعجب شراح ارسطو فقال أحدهم : " ومن التغيرات اللذيذة جمع الأضداد في شيء واحد " [٤] ، ويضرب مثالاً على ذلك قول أبي الطّيب :

فيك الخصام وأنت الخصم والحكم [٥]

ومن أساليب الشاعر المبتكرة في استخراج الطباق ضرب القيمة السالبة في نفسها لاستخراج القيمة الموجبة لينتج (الطباق) مثال ذلك قول أبي تمّام :

إذا زهدتني في الهوى خيفة الردى جلت لي عن وجه يزهد في الزهد [٦]

فالزهد قيمة سالبة (-) لانه انسحاب وإحجام أما قول أبي تمّام فيمكن ان يكتب بهذه المعادلة :

يزهد في الزهد = + = الطمع أو الرغبة وما شابه من معاني الأقدام.
- × -

ويسير أبو الطّيب على هذا النهج فيقول:

عهدي بمعركة الأمير وخيله في النقع محجمة عن الأحجام [٧]

" فالمعادلة هنا يمكن ان تكتب هكذا :

الإحجام عن الإحجام = (- × -) = + = الأقدام " [٨]

وهذا ايضاً كقول أبي تمّام:

أُعرضت برهة فلما أحست بالنوى أعرضت عن الإعراض[١]

---

[١]. التبيان: ١٠٠/٢.
[٢]. الفن ومذاهبه في اشعر العربي، ص٢٥١.
[٣]. الديوان: ٣٦٨/١.
[٤]. تلخيص كتاب ارسطو طاليس في الشعر ، أبو الوليد بن رشد ملحق بكتاب فن الشعر لارسطو طاليس ، ترجمه عن اليونانية و شرحه وحقق نصوصه : عبد الرحمن بدوي ، دار الثقافة ، بيروت، ط٢، ١٩٧٣، ص٢٤٦.
[٥]. التبيان: ٣٦٦/٣ .
[٦]. الديوان: ٦٢/٢ .
[٧]. التبيان : ١٣/٤.
[٨]. حركة المعنى في شعر المتنبي بين السلب والإيجاب ، د. عز الدين إسماعيل (ضمن كتاب المتنبي مالئ الدنيا وشاغل الناس) ، ص١٨٦.

- × - = + = الوصل

وقد يتخذ الشاعران من النباتات رموزاً للطباق ، كقول أبي تمّام:

تخرصاً وأحاديثاً ملفقة ليست بنبع إذا عدَّت ولا غرب[٢]

فالنبع " شجر صلب ينبت في رؤوس الجبال ... والغرب شجر ينبت على الأنهار ليست له قوة " [٣] .

وكذلك في قول أبي الطّيب مخاطباً سيف الدولة :

فلا تنلك الليالي ان أيديها إذا ضربن كسرن النبع بالغرب

أي إن الليالي إذا ضربت " كسرت القوي بالضعيف " [٤] ، فالنبع والغرب عند الشاعرين رمزان للقوة والضعف ، وثمة ضرب من الطباق يسمى (التدبيج) وهو أن تذكر " ألوان بقصد الكناية " [٥] ، وهو ما اشتهر أبو تمّام باستعماله [٦] ، وقد مرَّ بنا اللونان الأبيض والأسود او الصبغتان ، ومن الألوان التي كنى بها أبو تمّام هو اللون الأحمر وقد رمز به - فيما رمز- " للموت والمنية " [٧] ، كقوله:

يعلون حتى ما يشك عدوهم أن المنايا الحمر حيٌّ منهم [٨]

وقوله:

وملحباً لاقى المنية حاسراً والموت أحمر واقعاً بحياله [٩]

أما اللون الأخضر فهو يعبر- فيما يعبر - عن " اللدونة والخصب والسلام " [١٠] ، كقول أبي تمّام:

وإذ أنا ممنون علي و منعمُ فأصبحت من خضراء نعماك منعما [١١]

وقوله:

لكم ساحة خضراء أنَّى انتجعتها غدا فارطي فيها صدوقاً ورائدي [١٢]

---

[١]. الديوان : ٣٠٩/٢.

[٢]. المصدر نفسه : ٤٢/١.

[٣]. المصدر نفسه : ٤٢/١-٤٣.

[٤]. التبيان: ٩٤/١.

[٥]. الإيضاح في علوم البلاغة، تأليف قاضي القضاة جلال الدين محمد بن عبد الرحمن المعروف بالخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ) بتحقيق وتعليق لجنة من أساتذة كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر، أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد، ٣٣٩/٢.

[٦]. الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ص٢٤٧-٢٤٩.

[٧]. التجديد في وصف الطبيعة بين أبي تمّام والمتنبي، نسيمة راشد الغيث ، رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، ١٩٨٧ ، ص ٢٨٠ .

[٨]. الديوان: ٢١٦/٣.

[٩]. المصدر نفسه : ٥٦/٣.

[١٠]. التجديد في وصف الطبيعة بين أبي تمّام والمتنبي، ص٢٨٣.

[١١]. الديوان : ٢٤٤/٣.

[١٢]. الديوان : ٧٥/٢.

وهذان اللونان يعبران عن الرمزين نفسيهما في قول أبي الطّيب عن السيف:

وخضرة ثوب العيش في الخضرة التي أرتك احمرار الموت في مدرج النمل[1]

[1]. التبيان: ٣/١٦٠.

الترديد

قد لا يكون هذا الفن البلاغي في شهرة الطباق، لذا نجد لزاماً علينا أن نستذكره فالترديد هو " تعليق الشاعر لفظة في البيت، متعلقة بمعنى ، ثم يرددها فيه بعينها ، ويعلقها بمعنى أخر في البيت نفسه " [١] ، والحق ان الترديد يمكن ان يدمج مع فن بلاغي آخر هو توأمه الفني ألا وهو " التصدير " ، يقول ابن رشيق: " .. التصدير قريب من الترديد ، والفرق بينهما أن التصدير مخصوص بالقوافي ترد على الصدور، فلا تجد تصديراً إلا كذلك حيث وقع من كتب المؤلفين، وان لم يذكروا فيه فرقاً، والترديد يقع في إضعاف البيت.. " [٢] ، وقد اعتمد أبو تمّام على هذين الفنين البلاغين- او الفن الوحيد- في عرض معانيه وفي توليدها فالقافية عنده " لا تقف وحيده في آخر البيت ذلك لأننا نراها تنشر دوائر صداها في البيت نفسه، بل وفي القصيدة كلها وهذه الظاهرة مضطردة في شعره " [٣]. وهذه الظاهرة مضطردة ايضاً في شعر أبي الطّيب حتى قال ابن رشيق عن الترديد في شعره أنه سمع " باستحسان هذا النوع فجعله نصب عينه حتى مقّته وزهَّد فيه .. " [٤] ، ونحن لا نتفق مع ابن رشيق في تمقيت أبي الطّيب وتزهيده في هذا النوع البلاغي، فهو فن بلاغي يقوم عليه الكلام البليغ، أما أن يسيء المنشئ في استعماله فذاك شان آخر، ومهما يكن من أمر، فان هذا الفن البلاغي كان مرتكزاً أساسياً في اطراد المعاني في القصيدة، وقد يندمج هذا الفن مع الطباق فيكون طباق الترديد " وهو أن يرد آخر الكلام المطابق على أوله " [٥] ، كقول أبي تمّام :

فما تترك الأيام من هو آخذ ولا تأخذ الأيام من هو تارك [٦]

وقول أبي الطّيب :

فما ترزق الأقدار من أنت حارم ولا تحرم الأقدار من أنت رازق [٧]

والحق ان (الترديد) يمثل مرتكزاً كبيراً في توليد المعاني لدى الشاعرين أبي تمّام [٨] ، وأبي الطّيب [٩] ، وأطرف ما استعمل الترديد عند أبي تمّام هو قصيدته التي قالها في أبي سعيد محمد بن يوسف يمدحه حين خرج من عمورّية الى مكة ومطلعها :

---

[١]. حلية المحاضرة في صناعة الشعر ، أبو علي حمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي، تحقيق : د. جعفر الكتاني ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، الجمهورية العراقية، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٩، ١٥٤/١، وينظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ١٢٨/٢.

[٢]. العمدة: ٣/٢.

[٣]. أبو تمّام وقضية التجديد في الشعر، ص١٦٠.

[٤]. العمدة: ٣٣٥/١.

[٥]. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر و بيان إعجاز القرآن ، ابن أبي الاصبع المصري (٥٨٥-٦٥٤هـ) ، تقديم وتحقيق: د. حفني محمد شرف، القاهرة ١٣٨٣ هـ – ١٩٦٣، ص١١٥.

[٦]. الديوان: ٤٦٢/٢.

[٧]. التبيان: ٣٤٩/٢.

[٨]. ينظر: شعر أبي تمّام (دراسة في اسلوبه) ص١٣٠ فما بعدها .

[٩]. ينظر: التسلسل الإيحائي (تطبيق على قصيدة لأبي الطّيب المتنبي)، د. عمر بن سالم، ضمن كتاب المتنبي مالئ الدنيا وشاغل الناس ، الجمهورية العراقية ، وزارة الثقافة والإعلام ، دار الحرية للطباعة ، بغداد، ١٩٧٩، ص١٩٧٩، ص٢٦٦.

ما لي بعادية الأيام من قبل لم يثن كيد النوى كيدي ولا حيلي [1]

والتي يعقد فيها مقارنة طريفة بين غزوه للروم وحجه في قوله:

ملبياً طالما لبى مناديه الى الوغى غير رعديدولا وكل
ومحرماً أحرمت ارض العراق له من الندى واكتست ثوباً من البخل
وسافكاً لدماء البدن قد سفكت به دماء دوي الإلحاد والنحل
ورامياً جمرات الحجّ في سنةٍ رمى بها جمرات اليوم ذي الشُعَلِ
يردي ويرقل نحو المروتين كما يردي ويرقل نحو الفارس البطل[2]

وهكذا تيسر القصيدة المقارنة بين أفعال الغزو وأفعال الحج ، ومثل هذه المقارنة يضع أبو الطّيب في مدحه كافوراً ، لكنه لا يقارن بين الحج والغزو وكما فعل أبو تمّام بل يقارن بين إحسان كافور وجحود عدوه شبيب العقيلي مقارنة طريفة لكنها لا تستمر استمرار أبيات أبي تمّام بل هي تنقص عنها في العدد لكنها تظهر جانباً كبيراً من الإحسان والجحود ، يقول أبو الطّيب أولاً في هذا الترديد الطريف عن شبيب :

نفى وقع أطراف الرماح برمحه ولم يخش وقع النجم والدبران [3]

ثم يقول:

ودى ما جنى قبل المبيت بنفسه ولم يده بالجامل العكنان[4]

ثم يخلص إلى المقارنة فيقول:

أتمسك ما أوليته عاقلٍ وتمسك في كفرانه بعنان
ويركب ما أركبته من كرامةٍ ويركب للعصيان ظهر حصانِ[5]

ولا نعدم تأثر أبي الطّيب ببعض ترديدات أبيتمّ ام، يقول أبو تمّام :

ولم أر مثلي مستهاماً بمثلكم له مثل قلبي فيه ما فيه لا يغلي[6]

وقول أبو الطّيب :

ولم أر مثل جيراني ومثلي لمثلي عند مثلهم مقام[7]

وقول أبي تمّام:

ألا إن الندى أضحى أميراً على مال الأمير أبي الحسين[8]

وقول أبي الطّيب :

أمير أمير عليه الندى جوادٌبخيلٌ بأن لا يجودا [9]

---

[1]. الديوان: ٨٨/٣.
[2]. المصدر نفسه: ٩١/٣-٩٣.
[3]. التبيان : ٢٤٤/٤ .
[4]. المصدر نفسه : ٢٤٥/٤ .
[5]. المصدر نفسه : ٢٤٦/٤ .
[6]. الديوان : ٥٢٢/٤ .
[7]. التبيان : ٧٣/٤ .
[8]. الديوان : ٣٠٧/٣ .
[9]. التبيان : ٣٦٧/١ .

ومن المزج بين الطباق والترديد يقارن أبو تمّام بين الشمس الفلكية والشمس المجازية وهي (النار) في قوله يصف حريق عمورية ليلاً ويصف نهار المعركة وما فيه من غبار ودخان:

فالشمس طالعة من ذا وقد أفلت والشمس واجبة من ذا ولم تجب [1]

ويسير أبو الطّيب على هذا النهج ، في المقارنة بين الشمس الفلكية والشمس المجازية وهي مرثيته (خولة أخت سيف الدولة) فيقول :

فليت طالعة الشمسين غائبة وليت غائبة الشمسين لم تغب
وليت عين التي آب النهار بها فداء عين التي زالت ولم تؤب[2]

ومن مزج الطباق مع الترديد يستخرج أبو تمّام معاني طريفة وصوراً غريبة كقوله في بعيره :

رعته الفيافي بعدما كان حقبة رعاها وماء الروض ينهل ساكبه[3]

فأبو تمّام " لا يلجأ إلى المطابقة والمقابلة بين الأشياء وكما توحي الذاكرة بل هو يعود إلى عقله وفلسفته فيعمل فكرة ، ويكّد ذهنه ، حتى يستخرج هذه الصورة الغريبة من التضاد ، فإذا بعيره يرعى ويُرعى ، يرعى الفيافي وترعاه الفيافي ، وهو رعي غريب استحوذ على جهد عنيف من الشاعر ، حتى استطاع أن يستخرج هذه الصورة المتناقضة أو المتضادة " [4] ، ويتابعه أبو الطّيب فيقول عن ناقته :

فتبيت تسئد مسئداً في نيها إسآدها في المهمه الإنضاءُ [5]

فهذا الإسآد الغريب هو عين ذلك الرعي الغريب إلاّ أن أبا الطّيب "عقّد الألفاظ وعوّصها وأظلم المعنى " [6].

التأثر بالقصائد (المعارضات الشعرية)

لم تأخذ المعارضات الشعرية لأبي الطّيب فيما يخص أباتمّام نصيباً وافراً وافياً ، وقد كنا نأمل من د. زكي مبارك أن يجري موازنة بين قصيدة لأبي تمّام وأخرى لأبي الطّيب ولكنه لم يفعل مع أنه يقول أن المعارضة " في صميمها هي تلاقي روحين ، وائتلاف قلبين " [7] ، وكم تلاقت روحا أبي تمّام وأبي الطّيب ، وكم ائتلف قلباهما في الشعر كما سنرى ، وعلى أي حال فإننا سوف نعرض للقصائد التي عارض فيها أبو الطّيب أبا تمّام وتأثر خطاه في المعاني وفي البلاغة وفي الموسيقى والسبك أحياناً .

القصيدة الأولى التي سنتعرض لها والتي عارض فيها أبو الطّيب أباتمّام معارضة تامة هي القصيدة التي مطلعها :

---

[1]. الديوان: ٥٤/١ .
[2]. التبيان: ٩١/١
[3]. الديوان: ٢٢٢/١
[4]. الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، ص١٩٥.
[5]. التبيان: ١٧/١
[6]. الواضح في مشكلات شعر المتنبي ، ص٣٠.
[7] . الموازنة بين الشعراء ، زكي مبارك ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٣٦ ، ص٣٩٢ .

أحــاد أم ســداس فــي أحــاد ليبلتنــا المنوطــة بالتنــادِ[1]

وقصيدة أبي تمّام المعارضة مطلعها :

سقى عهد الحمى سبل العِهاد وروض حاضر منه وبادِ[2]

وكلتا القصيدتين من بحر الوافر والقافية من المتواتر والموضوع هو المدح فقد مدح أبو تمّام في قصيدته هذه أحمد بن أبي داود ، ومدح أبو الطّيب علي بن إبراهيم التنوخي ، وعدد أبيات قصيدة أبي تمّام (٥١) بيتاً ، وعدد أبيات قصيدة أبي الطّيب (٤٣) بيتاً . والظاهرة التي نود أن نشير إليها هي أن أبا الطّيب حين عارض هذه القصيدة لم يقف عندها حسب ، بل استعان بأخوات لها في ديوان أبي تمّام وكأنه قلّب صفحات ديوان أبي تمّام ونقل بعض معانيه وأعاد صياغتها وغَيّرَ سبكها كقول أبي الطّيب :

كــأن الهــام فــي الهيجــا عيــون وقــد طبعــت ســيوفك مــن رقــادِ

وقــد صــغت الأســنة مــن همــومٍ فمــا يخطــرن إلا فــي فــؤادِ[3]

فقد نظر إلى بيتي أبي تمّام في وصف رماح ممدوحه:

مــن كــل أزرق نظّــارٍ بــلا تطــر إلــى المقاتــل مــا فــي متنــه أ وُد

كأنــه كــان تــرب الحــب مــذ زمــن فلــيس يحجبــه قلــب ولا كبــدُ[4]

والذي نراه أن بيت أبي الطّيب :

كــأن الهــام فــي الهيجــا عيــون وقــد طبعــت ســيوفك مــن رقــادِ

فيه بعض الاضطراب والتعسف ، فالاضطراب هو في التشبيه ، حين شبّه عضواً بعضو ولم يغاير فشوش الذهن ، والتعسف هو في قوله (رقاد) وأراد أن يقول (نعاس) أو ندم ، فضلاً عن ان في المعنى بطءً شديداً أو عدم تناسب بين سرعة وقوع السيوف على الهام وسرعة أو ملازمة (الرقاد) للعيون ، ومهما يكن من أمر ، فإن البيت التالي:

وقــد صــغت الأســنة مــن همــومٍ فمــا يخطــرن إلاّ فــي فــؤادِ

يبلغ في روعته بيت أبي تمّام:

كأنــه كــان تــرب الحــب مــذ زمــن فلــيس يحجبــه قلــب ولا كبــد

ولكنه لا يتجاوزه بل يظل نقلاً وتقليباً لبيت أبي تمّام مع أن هذين البيتين هما أفضل ما في قصيدة أبي الطّيب ، وفضلاً عن تكرير أبي الطّيب (١٦) قافية(*) ، فإن أبا الطّيب كرر بعض التراكيب .

---

[1]. التبيان : ١/ ٣٥٣ .

[2] . الديوان : ٣٦٩/١ .

[3]. التبيان: ٣٦٠/١

[4] .الديوان: ١٨/٢

فإذا قال أبو تمّام :

كـــأن الشـــمس جللهـــا كســـوف أو اســتترت برجـل مـن جـرادٍ[1]

قال أبو الطّيب :

ولكــن هــب خوفــك فــي حشــاهم هبـوب الـريح فـي رجـل الجـرادِ[2]

وإذا قال أبو تمّام:

نثـــا خبـــرٍ كـــأن القلـــب أمســـى يجـر بـــه علـــى شـــوك القتـــادِ[3]

قال أبو الطّيب :

وكيــف يبيــت مضــطجعاً جبــان فرشــت لجنبــه شــوك القتــادِ[4]

وكثيراً ما تتطابق نهايات بعض الأبيات بين أبي تمّام وأبي الطّيب ، كقول أبي تمّام:

وفـــي الجـــواهر أشـــباه مشـــاكلة ولـيس تمتـزج الأنـوار والظلـم [5]

وقول أبي الطّيب :

ومـــا انتفـــاع أخـــي الـــدنيا بنـــاظرهِ إذا استوت عنده الأنوار والظلم[6]

أو قول أبي تمّام:

إذا أنـــا لـــم ألـــم عثـــرات دهـــرٍ أصـبت بهـا الـغداة فمـن ألـوم [7]

وقول أبي الطّيب :

إذا أتـــت الإســـاءة مـــن لئـــيم ولـم ألـم المسـيء فمـن ألـوم [8]

أو قول أبي تمّام:

يـا منـزلاً اعنقت فيـه الجنـوب علـى رسـم محيـل وشـعب غيـر ملتـئم [9]

وقول أبي الطّيب :

تنفسـت عـن وفـاء غيـر منصـدعِ يوم الرحيل وشعب غير ملتئم [10]

أو قول أبي تمّام :

(*). كون أن القافية كلمة تامة وهذا هو رأي الأخفش الذي يرى أن القافية هي آخر كلمة في البيت ، ينظر : فن التقطيع الشعري والقافية ، د. صفاء خلوصي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط٦ ، ١٩٨٧ ، ص٢١٣.

[1]. الديوان : ٣٧٥/١

[2].التبيان : ٣٦٢/١ .

[3]. الديوان : ٣٧٥/١ .

[4]. التبيان : ٣٦٤/١ .

[5]. الديوان : ٤٨٨/٤ .

[6]. التبيان : ٣٦٧/٣ .

[7]. الديوان : ٥٣٨/٤ .

[8]. التبيان : ١٥٢/٤ .

[9]. الديوان : ١٥٢/٤ .

[10]. التبيان : ٣٦/٤ .

طائيــة لا أبوهــا كــان مهتضــماً ولا مضى بعلها لحماً على وضم[1]

وقول أبي الطّيب :

أيملــك الملــك والأســياف ظامئــة والطير جائعة لحم على وضم [2]

وأحياناً يتشابه الأسلوب كقول أبي تمّام:

- فليس لعين لم يفض ماؤها عذرُ [3]

وقول أبي الطّيب :

- فليس لراءٍوجهها لم يمت عذرُ [4]

وفي البيتين التاليين لا يختلف إلاّ القافية وبعض الكلمات ، وهنا قول أبي تمّام:

محرمــة أكفــال خيلــك فــي الــوغى ومكلومــــة لباتهــــا ونحورهــــا [5]

وقول أبي الطّيب :

محرمــة أكفــال خيلــي علــى القنــا محلّلـــــة لبـاتهـــــا والقلائـــــِد[6]

ونعـود إلـى القصـيدتين الـداليتين ونقـول أنهمـا سـتلتقيان كمـا يلتقـي النهـران وتتداخلان حتى ليصعب تمييز القائل لهما ، قال أبو تمّام مخاطباً ممدوحه :

ومـــا ســـافرت فـــي الآفـــاق إلاّ ومــن جــدواك راحلتــي وزادي

مقــيم الظــن عنــدك والأمــاني وإن قلقــت ركــابي فــي الــبلاد[7]

وقال أبو الطّيب مخاطباً ممدوحه أيضاً :

وإنـــي عنـــك بعـــد غـــد لغـــاد وقلبــي مــن فنائــك غيــر غــاد

محبــك حيثمــا اتجهــت ركــابي وضـيفك حيـث كنـت مـن الـبلاد[8]

وهذا التواشج بين القصيدتين بهذه الأبيات يستفز الباحثين عن السرقات ، فيقول العميدي : " وهذان البيتان يناديان في البوادي ويستغيثان من المتنبي " [9] ، وحتى

---

[1]. هذا مشتق من مثل : ينظر مجمع الأمثال ، أبو العقل النيسابوري الميداني ، (ت ٥١٨هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتاب الحديث ، الكويت – الصفاة ، د. ت ، ٤٢٧/١.

[2]. التبيان : ٤٣/٤.

[3]. الديوان : ٧٩/٢ .

[4] . التبيان : ١٢٤/٢

[5] . الديوان : ٢٢٢/٢

[6]. التبيان : ٢٧١/١

[7]. الديوان : ٣٧٤/١

[8] . التبيان : ٣٦٥/١ .

[9] . الإبانة عن سرقات المتنبي ، ص١٠٢ .

القاضي الجرجاني – على تحرجه – يقول: "وهذا من أقبح ما يكون من السرق ، لأنه يدل على نفسه باتفاق المعنى والوزن والقافية " [1] .

[1] . الوساطة ، ص٢٤٩ .

ثاني القصائد التي عارضها أبو الطّيب هي قصيدة أبيتمّ امفي رثاء بني حميد الطائيين التي مطلعها :

أي القلوب عليكم ليس ينقطع وأي نوم عليكم ليس يمتنع [١]

والتي صاغ أبو الطّيب قصيدة على وزنها (البسيط) وقافيتها (المتراكب) ورويها مطلعها :

غيري بأكثر هذا الناس ينخدع إن قاتلوا جبنوا أو حدثوا شجعوا [٢]

وإذا كانت المعارضات الشعرية قد قسمت على تامة وناقصة " وموضوع النقص قد يكون من اختلاف الغرض.. " [٣] ، فإن هذه المعارضة ناقصة على هذا الأساس ، لأن قصيدة أبي تمّام في باب الرثاء ، وقصيدة أبي الطّيب في باب المديح ، وفضلاً عن أن الرثاء والمديح عند الشاعرين متلازمان ، فإن بين القصيدتين تشابهاً في الغرض أو الدافع ، فقصيدة أبي تمّام تقطر دماً وهي تتحدث عن (الرثاء .. الخذلان .. الشماتة .. الأسف .. الحماسة... الخ) ، وكذلك قصيدة أبي الطّيب فهي قصيدة غب معركة خاسرة بدأت بنصر ثم انقلبت الموازين ،سمّى بعض المؤرخين والباحثين هذه المعركة بـ (معركة خرشنة) خاضها سيف الدولة " وكانت هذه الوقعة عليه أسوأ الواقعات " [٤] ، ويقال أنه " قد قتل في هذه الغزاة من المسلمين زهاء مائة ألف فارس ، ولم ينج سيف الدولة إلاّ في شرذمة يسيرة " [٥] ، وعلى هذا فيمكن أن توضع هذه القصيدة في باب الرثاء على أنها – مجازاً – مرثاة للنصر الضائع ، ولا يبعد أن تكون نبرة الأسى والأسف في قصيدة أبي تمّام هي التي دفعت أبا الطّيب الى أن يعارضها ويستمد منها طاقتها الهائلة في ذم الجبن والتخاذل ومدح الشجاعة والصبر ، ومع أن القصيدة أقرب إلى المقطوعة فهي (١٥) بيتاً ، وقصيدة أبي الطّيب عدتها (٤٩) بيتاً ، إلا أنأبا الطّيب أنعم النظر في القصيدة فكرر عشر قواف منها ، ما يلفت نظرنا فيها هو تكراره جمع يوم الجمعة " جمع " [٦] ، كما جمعها أبو تمّام [٧] ، ومن دلائل التأثر في قصيدة أبي الطّيب استعمال أسماء الحيوانات رموزاً ، فقد استعمل أبو تمّام (الضبع) رمزاً للخسة والجبن مصوراً بها أعاجيب القدر وصروفه في قوله:

من لم يعاين أبا نصر وقاتله فما رأى ضبعاً في شدقها سبع [٨]

أما أبو الطّيب فقد اتخذ من (الضبع) رمزاً للجبن والخساسة في قوله:

---

[١] . الديوان : ٨٩/٤ .

[٢]. التبيان: ٢٢١/٢.

[٣]. تاريخ المعارضات في الشعر العربي ، د. محمد قاسم نوفل ، دار الفرقان ، عمان – الأردن ، ط١ ، ١٩٨٣ ، ص١٣.

[٤] . شعر الحرب في أدب العرب (في العصرين الأموي والعباسي إلى عهد سيف الدولة) ، د. زكي المحاسني ، دار المعارف – مصر ، ط٢ ، ١٩٧٠ ، ص ٢٨٢ ، وينظر : مع المتنبي ، ص ٢٧٦.

[٥] . شرح ديوان أبي الطّيب المتنبي ، أبو العلاء المعري ، (ت ٤٤٩ هـ) (معجز أحمد) ، تحقيق : د. عبد المجيد دياب ، دار المعارف – مصر ، ١٩٨٦ ، ١٧٦/٣.

[٦]. التبيان : ٢٢٥/٢.

[٧] . الديوان : ٩١/٤ .

[٨]. المصدر نفسه : ٩١/٤ .

لا تحسبوا من أسرتهم كان ذا رمق فليس تأكل إلاّ الميت الضبع [1]

أما صورة الدم المندفع فقد أعجب بها أبو الطّيب في بيت أبي تمّام حين يقول:

بني حميد بنفسي أعظم لكم مهجورة ودماء منكم دفع [2]

فقال ويقصد سيف الدولة :

وفارس الخيل من خفت فوقرها في الدرب والدم في أعطافها دفع [3]

أما بيت أبي تمّام في بني حميد:

ما غاب عنكم من الإقدام أكرمه في الروع إذ غابت الأنصار والشِّيَعُ [4]

فقد صاغه أبو الطّيب بهذه الصورة :

لم يسلم الكر في الأعقاب مهجته إن كان أسلمها الأصحاب والشِّيَعُ [5]

مما دعا ابن الأثير الى أن يقول : "وليس في السرقات الشعرية أقبح من هذه السرقة ، فإنه لم يكتف الشاعر فيها بأن يسرق المعنى ، حتى ينادي على نفسه أنه قد سرقه " [6] ، أما التحويرات والتحويلات التي أجراها أبو الطّيب فهي في الأفعال :

ما غاب = لم يسلم

غابت = أسلمها

وفي الأسماء:

الإقدام = الكرّ

الأنصار = الأصحاب

ولم يكتف أبو الطّيب بأخذ المعاني من هذه القصيدة فقط ،بل قلَّب ديوان أبي تمّام كعادته فإذا كان أبو تمّام قد قال عن الروم :

لم تبق مشركة إلاّ وقد علمت إن لم تتب أنه للسيف ما تلد [7]

فقد زاد أبو الطّيب في هذه القصيدة على الروم بقوله:

للسبي ما نكحوا ، والقتل ما ولدوا والنهب ما جمعوا ، والنار ما زرعوا [8]

ويُرَكِّبُ أبو الطّيب بيتاً له من بيتين لأبي تمّام في قصيدتين ، وهما قول أبي تمّام عن ممدوحه عمر بن عبد العزيز الطائي:

عضباً إذا سلّه في وجه نائبة جاءت إليك بنات الدهر تعتذر [9]

وقوله في محمد بن يوسف الطائي الثغري وحاله مع أرض الروم:

وأقمت فيها وادعاً متمهلاً حتى ظننا أنها لك دارُ [1]

---

[1]. التبيان : ٢٣٠/٢ .

[2] . الديوان : ٨٩/٤ .

[3] . التبيان : ٢٢٣/٢ .

[4] . الديوان : ٨٩/٤ .

[5] . التبيان : ٢٣٢/٢ .

[6] .المثل السائر: ٢٨٦/٣ .

[7] . الديوان : ٢٠/٢ .

[8] التبيان: ٢٢٤/٤

[9]. الديوان : ١٨٨/٢ .

فيقول أبو الطّيب بعد أن يجري (الدمج) ويصوغ صياغته الرائعة:

الـــدهر معتـــذر والســـيف منتظـــر وأرضهم لك مصطاف ومرتبع [٢]

ويعيد أبو الطّيب سبك بيت آخر لأبيتمّام[٣] وصياغته في قصيدة أخرى حين يقول أبو تمّام:

لـيس جـدع الأنـوف جـدعاً ولكـن بعـض مـن نصـطفيه جـدع الأنـوف [٤]

فيقول أبو الطّيب :

لـيس الجمـال لوجـه صـح مارنـه أنـف العزيـز بقطـع العـز يجتـدع [٥]

وتبلغ القصيدتان من التواشج في الأسلوب أن ينسب بعض البلاغيين شطراً لأبي تمّام على أنه لأبي الطّيب [٦] ، والشطر هو (أفناهم الصبر إذ أبقاكم الجزع).

وهذه ليست المرة الأولى التي يتوهم فيها المصنفون فينسبون بيتاً لأبي تمّام على أنه لأبي الطّيب ، فقد نسب الثعالبي هذا البيت على أنه لأبي الطّيب تحت عنوان (امتثال كلام المتصوفة) :

أفـيكم فتـى حـيٌ فيخبرنـي عنـي بمـا شـربت مشـروبة الـراح مـن ذهنـي؟[٧]

مع أنه لأبي تمّام في باب الوصف [٨] ، وما ذاك الوهم وما تلك النسبة إلاّ لتشابه الأسلوب الناتج عن التأثر والتأثير .

أما القصيدة الأخرى التي عارضها أبو الطّيب من قصائد أبيتمّامفهي قصيدة أبي تمّام التي مطلعها:

أقشـــيب ربعهـــم أراك دريســـا وقرى ضيوفك لوعةً ورسيسا [٩]

فقد عارض بقصيدته التي مطعها:

هـذي بـرزت لنـا فهجـت رسيسـا ثـم انثنيـت ومـا شـفيت نسيسـا [١٠]

وكلتا القصيدتين في غرض المدح ، وكلتاهما من بحر الكامل الضرب المقطوع [١١] ، والقافية من المتواتر ، وقد أشار بعض الباحثين إلى أن أبا الطّيب تأثر في سينيته

---

[١]. الديوان : ١٨٠/٢ .
[٢]. التبيان : ٢٣٣/٢ .
[٣]. التبيان : ٣٦٥/١ .
[٤]. الديوان : ٤٦٨/٤ .
[٥]. التبيان : ٢٢٢/٢ .
[٦]. معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ، الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، عالم الكتب ، بيروت ، د. ت ، ٣٢/٤.
[٧]. يتيمة الدهر: ٢١٣/١ .
[٨]. الديوان : ٥٤١/٤ .
[٩]. الديوان : ٢٦٢/٢ .
[١٠]. التبيان : ١٩٣/٢ .
[١١]. هو الحالة الثانية من أحوال الكامل التام الثلاث ، ينظر للإطلاع كتاب : موسيقى الشعر ، د. إبراهيم أنيس ، دار القلم ، بيروت – لبنان ، ط٤ ، ١٩٧٢ ، ص٧٥.

هذه بسينية أبي تمّام [١] ، وهذا حق بل أن خصائص كثيرة في شعر الشاعرين تجمعهما هاتان القصيدتان – كما سيأتي ، عدة قصيدة أبي تمّام (٤٨) بيتاً ، أما عدة قصيدة أبي الطّيب فـ (٣٠) بيتاً ، كررأبو الطّيب (١٨) قافية من قوافي أبي تمّام ، وما يلفت الانتباه منها كلمة (وطيس) وهي بمعنى (التنور) [٢] في في قول أبي تمّام :

وتركت تلك الأرض ظللاً سجسجاً من بعد ما كادت تكون وطيسا [٣]

وفي قول أبي الطّيب :

خود جنت بيني وبين عواذلي حرباً وغادرت الفؤاد وطيسا [٤]

أما الخصيصة الأولى المشتركة بين القصيدتين فهي (الإشارات التاريخية الدينية) التي عرف أبو تمّام بالإكثار منها ، حتى لقد أُثبتت له ثقافة تاريخية [٥] ودينية ، وقد وردت في هذه القصيدة إشارته إلى قصة موسى (عليه السلام) في قوله :

وكأنهم بالعجل ضلّوا حقْبةَ وكأنَّ موسى إذ أتاهم موسى [٦]

وهو ما أشار إليه أبو الطّيب إشارة أخرى في قوله:

أو كان لجّ البحر مثل يمينه ما انشق حتى جاز فيه موسى [٧]

كما أشار الشاعران إلى (إبليس) في قول أبي تمّام:

لو أن أسباب العفاف بلا تقى نفعت لقد نفعت إذاً إبليسا [٨]

وقول أبي الطّيب :

يا من نلوذ من الزمان بظلّه أبداً ونطرد باسمه إبليسا [٩]

ولا نعدم اتفاق الإشارات الدينية بين الشاعرين ، كإشارة الشاعرين إلى دين (المجوس) في مجال الغزل في قول أبي تمّام:

بأبي من إذا رآها أبوها شغفاً قال ليت إنا مجوس [١٠]

وقول أبي الطّيب :

يا أخت معتنق الفوارس في الوغى لأخوك ثم أرق منك وأرحم

يرنو إليك مع العفاف وعنده أن المجوس تصيب فيما تحكم [١١]

---

[١]. المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، عبد الله الطّيب ، دار الفكر ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٠، ٥٨/١.

[٢] . القاموس المحيط ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، دار الجيل ، لبنان د. ت ، ٢٦٧/٢.

[٣]. الديوان: ٢٦٥/٢

[٤]. التبيان : ١٩٥/٢ .

[٥] . ينظر : أبو تمّام (ثقافته من خلال شعره) ابتسام مرهون الصفار ، الجمهورية العراقية ، وزارة الإعلام ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٢ ، ص٥٠ .

[٦]. الديوان : ٢٦٩/٢ .

[٧]. التبيان : ١٩٩/٢.

[٨]. الديوان : ٢٧٢/٢ .

[٩]. التبيان : ٢٠٠/٢ .

[١٠]. الديوان : ٢١٤/٤ .

[١١] . التبيان : ١٢٢/٤ .

ومن الظواهر الاسلوبية التي استعملها الشاعران في هذه القصيدة هي (الافتراض) والافتراض كثير في شعر أبي تمّام " والأداة المستعملة لهذا الصوغ هي (لو) ... التي تدق أبواب الممتنع وتجعله قابلاً للحدوث " [١] ، وقد استعملها أبو تمّام مخاطبا ممدوحه في قوله :

اسقِ الرعية من بشاشتك التي ... لو إنها ماء لكان مسوسا [٢]

واستعملها أبو الطّيب في قوله :

لو كان ذو القرنين اعمل رأيه ... لمّا أتى الظلمات صرن شموسا [٣]

والملاحظ على هذا الاسلوب انه يرد أكثر ما يرد في المبالغة بل في الإيغال في المبالغة او المبالغة في الخيال كقول أبي تمّام في قصيدة أخرى عن مرثيه :

لو لم يمت بين أطراف الرماح إذا ... لمات اذ لم يمت من شدة الحزن [٤]

وقول أبي الطّيب في النسيب :

ولو زلتم ثم لم أبككم ... بكيت على حبي الزائل [٥]

او قول أبي تمّام :

وحشا تحرقه النصيحة والهوى ... لو انه وقت لكان مصيفا [٦]

ويقول أبو الطّيب مخاطبا ممدوحه :

لو كنت عصرا منبتا زهراً ... كنت الربيع وكانت الوردا [٧]

وفي هذه القصيدة يماثل أبو الطّيب أباتمّ امفي نظرته الى (القصيدة) على انها (عروس) في قوله :

حجبتنا عن أهل انطاكية ... وجلوتها لك فاجتليت عروسا [٨]

وهي نظرة أبي تمّام نفسها الى القصيدة المدحية في قوله في قصيدة أخرى مخاطبا ممدوحه :

إليك بها عذراء زفت كأنها ... عروس عليها حليها يتكسر [٩]

والعذرية او البكارة عند أبي تمّام " هي الجدة " [١٠] ، اما العروس فهي تعني فضلا عن البكارة والعذرية الشباب الجمال والتزويق .... وهي أيضاً تلمح في طرف

---

[١] . شعر أبي تمّام (دراسة في اسلوبه) ، ص ٣٨ ـ٣٩ .
[٢] . الديوان : ٢ / ٢٧١ .
[٣] . التبيان : ٢ / ١٩٨ .
[٤] . الديوان : ٤ / ١٤١ .
[٥] . التبيان : ٣ / ٢٢ .
[٦] . الديوان : ٢ / ٣٨٦ .
[٧] . التبيان : ١ / ٣٢٦ . وينظر : ١ / ٢٨٣ ، ٢ / ٩٦ .
[٨] . التبيان : ٢ / ٢٠١ .
[٩] . الديوان : ٢ / ٢١٧ .
[١٠] . شعر أبي تمّام (دراسة في اسلوبه) ، ص ٢٢١ .

خفـي وتشـير إشـارة لطيفـة إلـى " المهـر " الـذي يجـب ان يـدفع الـى مـن زفّ هـذه العروس ... وهذا هو – مرة أخرى – التكسب .

وصف القلم

لأبي تمّام قصيدة في مدح محمد بن عبد الملك الزيات مطلعها :

متى أنت عن ذهلية الحي ذاهل وقلبك منها مدة الدهر آهِلُ[1]

وهي من الطويل والقافية من المتدارك ، يبدأ أبو تمّام في هذه القصيدة بوصف قلم ممدوحه من البيت (٣٠) ، ويصف القلم في عشرة أبيات ، ويتأثر أبو الطّيب هذا الوصف ، فيصف قلم ممدوحه علي بن احمد الخراساني بقصيدته التي مطلعها :

حشاشة نفس ودعت يوم ودعوا فلم أدرِ أيَّ الظاعنين أشيّعُ[2]

وهي من الطويل أيضاً والقافية من المتدارك ، والفرق بين القصيدتين هو ان قصيدة أبي تمّام على روي اللام والقافية مؤسسة ، بينما قصيدة أبي الطّيب على روي العين والقافية غير مؤسسة ، يبدأ فيها أبو الطّيب بوصف القلم من البيت رقم (١٨) من القصيدة ، وعدة أبيات قصيدة أبي تمّام هي (٦٠) بيتاً ، أما عدة أبيات قصيدة أبي الطّيب فهي (٣١) بيتاً ، ورغم هذه الاختلافات فان القصيدتين تلتقيان في عدة نقاط وهي :

١. فضل الشاعران (الفكر) على السلاح (القوة) في قول أبي تمّام :

اذا ما امتطى الخمس اللطاف وافرغت عليه شعاب الفكر وهي حوافل
أطاعته أطراف القنا وتقوضت لنجواه تقويض الخيام الجحافل[3]

وقال أبو الطّيب :

ذباب حسام منه أنجى ضريبة وأعصى لمولاه وذا منه أطوع[4]

٢. وصف الشاعران القلم بالنحول او النحافة ، قال أبو تمّام :

..... وهو ناحل[5]

وقال أبو الطّيب :

نحيف الشوى[6] .....

والكلام على النحافة او النحول ليس جديداً على الشاعرين ، فقد وصفا جسيمهما بالنحول ، قال أبو تمّام :

شكوت الى الزمان نحول جسمي فأرشدني الى عبد الحميد[7]

وقال أبو الطّيب :

---

[1] . الديوان : ٣ / ١١٢ .
[2] . التبيان : ٢ / ٢٣٥ .
[3] . الديوان : ٣ / ١٢٣ – ١٢٤ .
[4] . التبيان : ٢ / ٢٤٤ .
[5] . الديوان : ٣ / ١٢٥ .
[6] . التبيان : ٢ / ٢٤٤ .
[7] . الديوان : ٢ / ١٣٣ .

كفى بجسمي نحولاً أنني رجل لولا مخاطبتي إياك لم ترنِ [1]

وكأن الشاعرين توحدا مع القلم فوصفاه بما كان يصفان به جسميهما ولا غرابة في ذلك ، فالشاعران صاحبا فكر ، والقلم أداة الفكر فبينهما قرابة ونسبة .

٣. اسند الشاعران إلى القلم صفتي النطق والفصاحة ، وهذا ليس غريبا على الشاعرين ، فهما يؤنسنان الجمادات ، ويخلعان على الجماد صفات الإنسان ، قال أبو تمّام عن القلم :

فصيح إذا استنطقته وهو راكب وأعجم ان خاطبته وهو راجل [2]

وقال أبو الطّيب :

فصيح متى ينطق تجد كل لفظة أصول البراعات التي تتفرع [3]

٤. لجوء الشاعرين الى اسلوب (المفارقة) او (الالغاز) في وصف القلم ، كما في قول أبي تمّام يصفه بانه يقبل :

أعاليه في القرطاس وهي أسافل [4]

وهذا ما يتبناه أبو الطّيب حين يصف او يلغز لهذا اللغز حين يقول عن القلم بأنه :

يعدو على أم رأسه [5]

وهنا يطرح هذا السؤال : هل استطاع أبو الطّيب إن ينتزع شهرة وصف أبي تمّام للقلم أو يتفوق عليه ؟ وقد يختلف الجواب عن هذا السؤال ولكن القدماء (جلهم أو كلهم) لم تفضلوا وصفا على وصف أبي تمّام للقلم ، أي إن أبا الطّيب لم يستطع ان يجلب الانتباه الى وصفه القلم كما فعل أبو تمّام ، وذلك لانه كما نرى وقع في قبضة معاني أبي تمّام ولم يستطع أن يفلت منها ، مع إجادته وبراعته ، فظلت أبيات أبي تمّام العشرة بإجماع العلماء " أحسن وأفخم من جميع ما قيل في القلم " [6] .

.

---

[1] . التبيان : ٤ / ١٨٦ .
[2] . الديوان : ٣ / ١٢٣ .
[3] . التبيان : ٢/ ٢٤٥ .
[4] . الديوان : ٣/ ١٢٤.
[5] . التبيان :٢ /٢٤٤ .
[6] . أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد) ، الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي العلوي (ت٤٣٦ هـ)، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الكتاب العربي ، بيروت ـ لبنان ، ط ٢ ، ١٩٦٧ ، ١/ ٥٣٧ .

أما القصيدة الأخيرة التي سنعرضها من قصائد أبي تمّام والتي عارضها أبو الطّيب ، فهي بائيته في مدح الحسن بن سهل مطلعها :

أأيامنا ما كنت إلاّ مواهباً وكنت بإسعاف الحبيب حبائبا [1]

وهي من بحر الطويل والقافية من المتدارك ، عارضها أبو الطّيب ببائيته التي مطلعها:

بابي الشموس الجانحات غواريا اللابسات من الحرير جلابيا [2]

وهي من البحر الكامل ، والقافية من المتدارك ، قالها أبو الطّيب في مدح علي بن منصور الحاجب ولم يجزه عليها " إلاّ ديناراً واحداً، فسميت الدينارية " ، وقد لفتت هذه القصيدة انتباه هدى الارناؤطي التي لاحظت ان أبا الطّيب قد اتخذ أباتمّام " إماماً احتذاه في كثير من ألفاظه ومعانيه وصوره " [3] ، فاتباع أبي الطّيب سبيل المعارضة " دليل واضح على إعجابه الشديد بابي تمّام وترسمه لطريقه ، فأضفى على أشعاره كثيرا من خصائص وسمات أسلوب أبى تمّام " [4] ، فاذا قال أبو تمّام في القصيدة المذكورة يعرّض بمنافس له ويهجوه :

شهدت جسيمات العلا وهو غائب ولو كان أيضاً شاهداً كان غائباً [5]

قال أبو الطّيب عن ممدوحه :

هذا الذي أبصرت منه حاضراً مثل الذي أبصرت منه غائباً [6]

فلقد هجا أبو تمّام ذلك الرجل " بأنه لا نفع وراءه : فوجوده وغيابه في الملّمات سّيان ، فنقله المتنبي الى المدح : ليثبت للممدوح عموم الفضل في الحضور والغيبة " [7] ، وطباق أبي الطّيب هذا بين (حاضر – غائب) يذكِّرنا بطباق مماثل لأبي تمّام في قصيدة أخرى ، يقول فيها مخاطباً ممدوحه أبا دلف العجلي :

فأنت لديه حاضرٌ غير حاضرٍ جميعاً وعنه غائب غير غائبِ [8]

وقد يكون تأثر أبي الطّيب " في نطاق اسلوب التعبير ، كأن يستعير القالب اللفظي للبيت الذي يعارضه " [9] ، كقول أبي تمّام :

سلبنا غطاء الحسن عن حرّ أ وجهٍ تظلّ للبّ السّالبيها سوالبا [10]

وقول أبي الطّيب :

---

[1]. الديوان : ١/ ١٣٨

[2] . التبيان : ١٢٢/١ .

[3]. الصبح المنبي عن حيثية المتنبي ، ص٤٢٢ .

[4]. ثقافة المتنبي واثرها في شعره ، ص ١٢٦.

[5]. الديوان : ١ / ٢١٣ .

[6]. التبيان : ١ / ١٢٩ .

[7]. ثقافة المتنبي وأثرها في شعره ، ص ١٢٦.

[8]. الديوان : ١ / ٢١٣ .

[9]. ثقافة المتنبي وأثرها في شعره ، ص ١٢٩.

[10]. الديوان : ١ / ١٣٩ .

المنهبـــات قلوبنـــا وعقولنـــا وجنـــاتهنّ الناهبـــات الناهبـــا [1]

وإذا قال أبو تمّام :

خطـــوب إذا لاقيـــتهنّ رددننـــي جريحـاً كـأنّي قـد لقيـت الكتائبـا [2]

قال أبو الطّيب :

قد عسكرت معها الرزايا عسكراً وتكتبـت فيهـا الرجـال كتائبـا [3]

والتأثر واضح حيث " ان تصوير أبي تمّام لخطوب الزمان وويلاته في هيئة كتائب من الجيش تخلّف وراءها جرحى وقتلى هو الذي ساق المتنبي الى استعارة الفعل (عسكر) للرزايا ، واغلب الظن ان الشاعر اضطر الى إكمال البيت بهذه الصورة ، حتى يورد القافية المطلوبة " [4] ، أما المقارنة التي يجريها أبو الطّيب بين مناقب ممدوحه ومناقب سواه من الناس ، في قوله :

شـادوا منـاقبهم وشـدت مناقبـا وجـدت منـاقبهم بهـنّ مثالبـا [5]

فقد نقلها من مقارنة أبي تمّام بين محاسن ممدوحه ومحاسن سواهم من الأقوام في قوله في قصيدة أخرى مادحاً أبا دلف العجلي :

محاسن من مجدٍمتى تقرنوا بها محاسـن أقـوام تكـن كالمعايـب [6]

ويعود أبو الطّيب الى تكرار طباق أبيتمّ ام، فاذا قال أبو تمّام :

وكنـت امـرءً ألقـى الزمـان مسـالماً فآليـــت لا ألقـــاه إلاّ محاربـــاً [7]

قال أبو الطّيب :

سـلْ عـن شـجاعته وزره مسـالماً وحـذار ثـم حـذار منـه محاربـاً [8]

" فقد اعتمد في هذا البيت المطابقة بين (مسالم – محارب) ، كما وردت في بيت أبي تمّام " [9] ، وتكاد موسيقى البيت في الشطر من بيت أبي تمّام تطابق موسيقى موسيقى الشطر الأول من بيت أبي الطِيب ، إذا ما حذفنا الواو ، فيصبح البيت من الكامل :

كنت امرءً ألقى الزمانَمسالماً = مُتْفاعلن مُتْفاعلن مُتْفاعلن

وهذا كثيراً ما يحدث في أبيات الطويل ، إذ تتحول بعد حذف الفاء من (فعولن) الى الكامل ، وقد ورد شطر آخر على هذا ، في قول أبي تمّام (بعد حذف الواو) :

مَنْ لم يسلّم للنوائب أصبحت [10] = مُتْفاعلن مُتْفاعلن مُتْفاعلن = الكامل

---

[1]. التبيان : ١ / ١٢٢ .
[2]. الديوان : ١ / ١٤٠ .
[3]. التبيان : ١ / ١٢٨ .
[4]. ثقافة المتنبي واثرها في شعره ، ص ١٢٩ .
[5]. التبيان : ١ / ١٣١ .
[6]. الديوان : ١ / ٢٠٩ .
[7]. المصدر نفسه : ١ / ١٤٣ .
[8]. التبيان : ١ / ١٢٦ .
[9]. ثقافة المتنبي واثرها في شعره ، ص ١٢٩ .
[10]. الديوان : ١ / ١٤٠ .

ويمكن تحويل شطر من الكامل الى شطر من الطويل بعد إضافة حرف (حركة) الى أولّه ، فشطر أبي الطّيب من القصيدة البائية موضع الدراسة يتحول الى الطويل بعد إضافة الواو :

(و) هذا الذي أفنى النضار مواهباً = فعولن مفاعيلن فعول مفاعلن = الطويل

وما نريد الوصول اليه من هذا ، هو أنَّ القرابة الموسيقية بين (الطويل) و (الكامل) قد سمحت بأن تتقابل كلمتا (مسالم – محارب) في القصيدتين ، فسهلت أن يلاحظ التشابه بين القصيدتين .

أما جناس التشقيق الذي استعمله أبو الطّيب في قوله :

في رتبةٍحجب الورى عن نيلها وعلا فسموه عليّ الحاجبا [1]

فيمكن القول انه اتبع أبا تمّام في طريقته ، فقد عرف واشتهر أبو تمّام بهذه الطريقة في التجنيس ، واعتمد هذا الاسلوب " وجعله غرضه ، وبنى اكثر شعره عليه " [2] ، وهذه هي " سنّة في اكثر المذاهب الأدبية او الفلسفية ، فانها تنسب الى من من يتخذها داباً ، ويعتنقها كالدين " [3] ، فأبو تمّام يرى " انه اذا مرّ على اسم موضع يحتاج الى ذكره ، او يتصل بقصة يذكرها في شعره ، من دون ان يشتق منه تجنيساً ، او يعمل منه بديعاً ، فقد باء بإثم ، وأخل بفرضٍ حتم " [4] فهو يشتق جناساً من أسماء أسماء المواضع كقوله :

يا يوم ارشق كنت رشق منيةٍ للخّرميةِ صائب الآجالِ [5]

ومن أسماء الأعلام كقوله :

محمَّد ُديا بن المستهل تهللت عليك سماء من ثنائي تهطلُ [6]

وحتى أسماء الشهور كقوله :

لما قضى رمضان منه قضاءهُ شالت به الأيام في شوالِ [7]

وهذا الجناس " لتماثل الألفاظ فيه يكاد يكون أكثر أنواع الجناس اعتماداً على الجرس " [1] ، فهو يخلق تماثلاً وتوافقاً وانسياباً في موسيقى البيت الشعري .

---

[1]. التبيان : ١ / ١٢٨ .
[2]. الموازنة : ١ / ٢٨٤ .
[3]. شعر الحرب في أدب العرب ، ص ٢٣٠ .
[4]. أسرار البلاغة ، ص ١٥ .
[5]. الديوان : ٣ / ١٣٥ . وينظر شعر أبي تمّام (دراسة في اسلوبه) ، ص ١٩٠ .
[6]. الديوان : ٣ / ٧٣ .
[7]. المصدر نفسه : ٣ / ١٤٣ .

[1]. جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي ، د. ماهر مهدي هلال ، الجمهورية العراقية ـ وزارة الثقافة والإعلام ، دار الحرية للطباعة ـ بغداد ، ١٩٨٠ ، ص ٢٧٨ .

المصـــادر

المصـادر

القرآن الكريم

١. الإبانة عن سرقات المتنبي ، أبو سعد محمد بن أحمد العميدي ، تحقيق : ابراهيم الدسوقي البساطي ، دار المعارف ، مصر ، ط ٢ ، ١٩٦٩ .

٢. أبو بكر الصولي ناقداً ، صبحي ناصر حسين ، دار الجاحظ للطباعة والنشر ، بغداد ، ط ١ ، ١٩٧٥ .
٣. أبو تمّام (ثقافته من خلال شعره) ، ابتسام مرهون الصفار ، الجمهورية العراقية ، وزارة الإعلام ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٢ .
٤. أبو تمّام الطائي (حياته وحياة شعره) ، نجيب محمد البهبيتي ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٥ .
٥. أبو تمّام حياته وشعره ، بأقلام عدة باحثين ، المكتبة الحديثة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٨ ، ص ١٨ ، وينظر ص ٢٢-٢٣ .
٦. أبو تمّام وقضية التجديد في الشعر ، د. عبدة بدوي ، الهيأة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٥ .
٧. أدب الكاتب ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى ، مطبعة السعادة – مصر، ط ٤ ، ١٩٦٣.
٨. أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : هـ . ريتر ، ط ٢ ، ١٩٧٩ ، أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد .
٩. أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد) ، الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي (ت ٤٣٦ هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ،ط ٢ ، ١٩٦٧.
١٠. الأحلام بين العلم والعقيدة ، د. علي الوردي ، مطبعة الرابطة – بغداد ، ١٩٥٩ .
١١. الأديب وصناعته ، إشراف روي كاودن ، ترجمة : جبرا ابراهيم جبرا، منشورات مكتبة منيمنة ، بيروت ، ١٩٦٢ .
١٢. الأمثال السائرة من شعر المتنبي والرزنامجة ، الصاحب بن عّباد ، تحقيق : الشيخ محمد حسن آل ياسين ، مكتبة النهضة – بغداد ، ط١ ، ١٩٦٥ .
١٣. الإيضاح في علوم البلاغة ، قاضي القضاة جلال الدين محمد بن عبد الرحمن المعروف بالخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ) ، تحقيق وتعليق : لجنة من أساتذة كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر، أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد .
١٤. بحوث بلاغية ، د.احمد مطلوب ، مطبوعات المجمع العلمي – بغداد ، ١٩٩٦ .
١٥. البديع في نقد الشعر ، أسامة بن منقذ ، تحقيق : د. أحمد أحمد بدوي ، د. حامد عبد المجيد ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، القاهرة ، ١٩٦٠ .
١٦. البلاغة والتطبيق ، تأليف د. أحمد مطلوب، د. كامل حسن البصير، الجمهورية العراقية ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، ط١ ، ١٩٨٢.

١٧. البيان والتبيين ، ابو عثمان عمر بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ، مطبعة المدني ، ط٥ ، ١٩٨٥ .
١٨. تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، الحافظ ابي بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، د. ت .
١٩. تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري ، نجيب محمد البهبيتي ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، ١٩٨٢ .
٢٠. تاريخ المعارضات في الشعر العربي ، د. محمد قاسم نوفل ، دار الفرقان ، عمان – الأردن ، ط ١ ، ١٩٨٣ .
٢١. التجديد في وصف الطبيعة بين أبي تمام والمتنبي ، نسيمة راشد الغيث (رسالة دكتوراه) ، إشراف أ.د. سهير القلماوي ، جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، ١٩٨٧ .
٢٢. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ، ابن أبي الأصمع المصري (٥٨٥ – ٦٥٤ هـ) تقديم وتحقيق : د. حفني محمد شرف، القاهرة ١٣٨٣ هـ – ١٩٦٣ .
٢٣. التكسب بالشعر ، د. جلال الخيّاط ، دار الأدب ، بيروت – لبنان ، ١٩٧٠.
٢٤. ثقافة المتنبي واثرها في شعره ، الأرناؤطي، منشورات وزارة الثقافة والفنون، الجمهورية العراقية، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٨.
٢٥. تلخيص كتاب ارسطو طاليس في الشعر ، أبو الوليد بن رشد ملحق بكتاب فن الشعر لارسطو طاليس ، ترجمه عن اليونانية و شرحه وحقق نصوصه: عبد الرحمن بدوي ، دار الثقافة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٧٣ .
٢٦. جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي ، د. ماهر مهدي هلال ، الجمهورية العراقية – وزارة الثقافة والإعلام ، دار الحرية للطباعة – بغداد ، ١٩٨٠ .
٢٧. جنة الشوك ، طه حسين ، دار المعارف – مصر ، ١٩٦٢ .
٢٨. حلية المحاضرة في صناعة الشعر ، أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي ، تحقيق : د. جعفر الكتاني ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، الجمهورية العراقية ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٩ .
٢٩. الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق : د. محمد علي النجار ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٠ .
٣٠. دراسة في طبيعة المجتمع العراقي ، د. علي الوردي ، مطبعة العاني - بغداد ، ١٩٦٥ .
٣١. دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، قرأه وعلق عليه : محمود محمد شاكر ، الناشر مكتبة الخانجي – القاهرة ، د.ت .
٣٢. ديوان البحتري ، عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه : حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف – مصر ، ط٣ ، ١٩٧٧ .

٣٣. ديوان المتنبي ، شرح أبي الحسن علي بن احمد الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨ هـ) ، تحقيق: فريدريخ ديتريص ، دار صادر ، بيروت ، د. ت.
٣٤. ديوان المعاني ، أبو هلال العسكري ، الناشر مكتبة الأندلس، بغداد ، د. ت.
٣٥. ذكرى أبي الطّيب بعد ألف عام ، عبد الوهاب عزام ، دار المعارف – مصر ، ط ٣ ، ١٩٦٨ .
٣٦. الرسالة الحاتمية ، الحاتمي ، (مطبوعة مع الإبانة) .
٣٧. الرسالة الموضحة ، محمد بن الحسن الحاتمي ، تحقيق : د. محمد يوسف نجم ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٥ .
٣٨. سرّ الفصاحة ، ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦ هـ)، شرح وتصحيح : عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة ومطبعة محمد علي وأولاده ، القاهرة ، ١٩٦٩ .
٣٩. السرقات الأدبية ، د. بدوي طبانة ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ط ٤ ، ١٩٧٥.
٤٠. شرح الصولي لديوان أبي تمّام ، دراسة وتحقيق : خلف رشيد نعمان ، الجمهورية العراقية – وزارة الإعلام ، ط ١ ، ١٩٧٧ .
٤١. شرح ديوان أبي الطّيب المتنبي (معجز أحمد) ، أبو العلاء المعري ، (ت ٤٤٩ هـ)، تحقيق : عبد المجيد دياب ، دار المعارف – مصر ، ١٩٨٦ .
٤٢. شرح ديوان الحماسة لأبي تمّام ، أبو علي احمد بن محمد بن الحسن الرزوقي (ت٤٢١ هـ) ، نشره احمد أمين ، عبد السلام هارون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٥١ .
٤٣. شرح ديوان صريع الغواني ، تحقيق : د. سامي الدهان ، دار المعارف - مصر ، ط ٢ ، ١٩٧٠ .
٤٤. شعر أبي تمّام دراسة في اسلوبه ، رسالة دكتوراه ، احمد سعيد عبيد عبيدون ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، ٢٠٠٠ م .
٤٥. شعر الحرب في أدب العرب (في العصرين الأموي والعباسي إلى عهد سيف الدولة)، د. زكي المحاسني ، دار المعارف – مصر ، ط٢، ١٩٧٠.
٤٦. الشعر وطوابعه الشعبية على مرّ العصور ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف – مصر ، ١٩٧٧ .
٤٧. الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، د. جابر أحمد عصفور ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٤ .
٤٨. الصورة الفنية في شعر أبي تمّام ، د. عبد القادر الرباعي ، جامعة اليرموك ، أربد – الأردن ، ط ١ ، ١٩٨٠ .
٤٩. الطبيعة عند المتنبي ، د. عبد الله الطيب ، الجمهورية العراقية - وزارة الإعلام ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٧ .
٥٠. العصر الجاهلي ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف – مصر ، ط ١٠ ، ١٩٨٢ .
٥١. العصر العباسي الأول ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف – مصر ، ط ٣ ، ١٩٦٦ .

٥٢. عيار الشعر ، محمد احمد بن طباطبا العلوي ، شرح وتحقيق : عباس عبد الستار ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٨٢ .
٥٣. الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي ، ابو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ)، تحقيق : د. محسن غياض ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٠ .
٥٤. الفرق بين الفرق ، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي (ت ٤٢٩ هـ)، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، د.ت .
٥٥. فن التقطيع الشعري والقافية ، د. صفاء خلوصي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط٦ ، ١٩٨٧ .
٥٦. فن المديح ، احمد أبو حاقة ، دار الشرق الجديد ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٦٢ .
٥٧. في الأدب العباسي ، محمد مهدي البصير ، مطبعة النعمان – النجف الأشرف ، ط٣ ، ١٩٧٠ .
٥٨. في النقد الأدبي ، د.شوقي ضيف ، دار المعارف – مصر ، ط٥ ، ١٩٧٧.
٥٩. القاضي الجرجاني الأديب الناقد ، د. محمود السمرة ، منشورات المكتب التجاري ، بيروت ط٢ ، ١٩٧٩ .
٦٠. القاموس المحيط ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، دار الجيل ، لبنان ، د. ت .
٦١. كتاب ارسطو طاليس في الشعر ، تحقيق : د. شكري محمد عياد ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٧ .
٦٢. الكشف عن مساوئ المتنبي ، (مطبوعة مع الإبانة) .
٦٣. لغة الشعر الحديث في العراق (بين مطلع القرن العشرين والحرب العالمية الثانية) ، د. عدنان حسين العوادي ، منشورات وزارة الثقافة والأعلام ، الجمهورية العراقية ، دار الحرية للطباعة– بغداد ، ١٩٨٥.
٦٤. المتاهات ، د. جلال الخياط ، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٠ .
٦٥. المتنبي بين ناقديه ، د. محمد عبد الرحمن شعيب ، دار المعارف – مصر ، ط ٢ ، ١٩٦٩ .
٦٦. المتنبي رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ، محمود محمد شاكر ، دار المدني بجدة ، مكتبة الخانجي بمصر ، ١٩٨٧ .
٦٧. المتنبي كأنك تراه (نصوص نادرة عن سيرته ونقد شعره) ، د. محسن غياض عجيل ، الموسوعة الصغيرة ، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق– بغداد ، ١٩٩٨ .
٦٨. المتنبي مالئ الدنيا وشاغل الناس ، بأقلام عدة باحثين، الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والإعلام ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٩ .

٦٩. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين بن الأثير ، تحقيق : د. أحمد الحوفي ، د. بدوي طبانة ، منشورات دار الرفاعي بالرياض ، ط ٢ ، ١٩٨٤ .
٧٠. مجلة كلية الآداب ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة بغداد ، دار الحرية للطباعة ، العدد (٢٨) ، مايس ١٩٨٠ ، عمود الشعر ، د.احمد مطلوب
٧١. مجمع الأمثال ، أبو الفضل النيسابوري ، الميداني ، (ت ٥١٨ هـ) ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الكتاب الحديث ، الكويت – الصفاة ، د. ت .
٧٢. محاضرات في تاريخ النقد عند العرب ، د. ابتسام مرهون الصفار ، د. ناصر حلاوي ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي – جامعة بغداد ، ط ٢ ، ١٩٩٩ .
٧٣. المحصول الفكري للمتنبي ، سهيل عثمان ، منير كنعان ، دار الإرشاد ، بيروت ، ط١ ، ١٩٦٩ .
٧٤. المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، عبد الله الطيب ، دار الفكر ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٠ .
٧٥. مروج الذهب ومعادن الجوهر ، المسعودي ، تحقيق : شارل بلا ، منشورات الجامعة اللبنانية ، بيروت ، ١٩٧٣ .
٧٦. مع المتنبي ، طه حسين ، دار المعارف – مصر ، د. ت .
٧٧. معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ، الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، عالم الكتب ، بيروت ، د.ت .
٧٨. معجم الأدباء ، ياقوت الحموي ، دار الفكر ، ط ٣ ، ١٩٨٠ .
٧٩. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، د.أحمد مطلوب ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٨٧ .
٨٠. مقدمة ابن خلدون ، دار الشعب ، مصر ، د. ت .
٨١. من معجم المتنبي (دراسة لغوية تاريخية) ، د. ابراهيم السامرائي ، منشورات وزارة الاعلام – الجمهورية العراقية ، دار الحرية للطباعة- بغداد ، ١٩٧٧ .
٨٢. المنصف للسارق والمسروق منه في إظهار سرقات أبي الطّيب المتنبي ، أبو محمد الحسن بن علي بن وكيع ، تحقيق : د. محمد يوسف نجم ، الكويت ، ط١ ، ١٩٨٤ .
٨٣. منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، أبو الحسن حازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ)، تقديم وتحقيق : محمد الحبيب بن الخوجة ، دار الكتب الشرقية ، تونس ، ١٩٦٦ .
٨٤. الموازنة بين الشعراء ، زكي مبارك ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٣٦ .
٨٥. المورد ، منير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ٣٢ ، ١٩٩٨ .

٨٦. موسيقى الشعر ، د. إبراهيم أنيس ، دار القلم ، بيروت – لبنان ، ط ٤ ، ١٩٧٢ .
٨٧. النظام في شرح شعر المتنبي وأبي تمّام ، أبو البركات شرف الدين المبارك بن احمد المعروف بـ (ابن المستوفي) ، دراسة وتحقيق : د. خلف رشيد نعمان ، وزارة الثقافة والإعلام ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٩ .
٨٨. نقد الشعر ، أبو الفرج قدامة بن جعفر ، تحقيق وتعليق : د. محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، د.ت .
٨٩. النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري ، نعمة رحيم العزاوي ، منشورات وزارة الثقافة والفنون – الجمهورية العراقية ، دار الحرية للطباعة ، ١٩٧٨ .
٩٠. النقد المنهجي عند العرب ، د. محمد مندور ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٩ .
٩١. الواضح في مشكلات شعر المتنبي ، أبو القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني ، تحقيق : الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٦٨ .
٩٢. الوساطة بين المتنبي وخصومه ، القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني ، تحقيق وشرح : محمد ابو الفضل ابراهيم ، علي محمد البجاوي ، دار القلم، بيروت – لبنان ، ١٩٦٦ .
٩٣. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن ابي بكر بن خلكان (ت ٦٨١ هـ) ، حققه : د. إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت - لبنان ، ١٩٦٩ .
٩٤. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، أبو منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري ، شرح وتحقيق : د. مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٣ .

الخـاتـمــة

الخاتمة

بعد عرضنا تأثر أبي الطّيب بابي تمّام ، نرى لزاما علينا أن نجيب عن سؤالين هما :

الأول : ما هو الموقف من إنكار أبي الطّيب معرفته لأبي تمّام في المناظرة التي جرت بينه وبين الحاتمي ، حين قال : " ومَنْ أبو تمّام " [١] ، أو حين قال : " أقسمت غير محرج في قسمي أنني لم اقرأ شعراً قط لأبي تمّامكم هذا " [٢] ؟ والجواب هو " ان بطلان هذه المقالة أمرٌ واضحٌ جليٌّ " [٣] من الحاتمي لا المتنبي، فهي مقولة أو مقولات موضوعة على المتنبي وهذه المقولة ما هي إلاّ تهمة قذف بها المتنبي " لا تثبت أمام التمحيص والتحقيق وليست هي مجرد افتراء محض من الحاتمي ، وإنما فيها دلالة أخرى ، وهي استهانة الحاتمي بعقول الناس الذين يسوق إليهم هذا الكلام " [٤] فأبو الطّيب لا ينحدر إلى هذا المستوى من الكذب وهو المشهود له بالصدق وانه " ما كذب " [٥] ، أما الرواية الأقرب إلى اليقين والألصق بالحقيقة فهي الرواية التي تقول إن أبا الطّيب كان ينشد بدائع أبي تمّام " وكان يروي جميع شعره " [٦] ، وانه قال عن أبي تمّام انه " أستاذ كل من قال الشعر بعده " أما السؤال الثاني فهو : هل يعد هذا التأثر و(السرقة) كما يعبر عنها النقاد (القدامى) عيبا على أبي الطّيب ونقصا أو انتقاصا في شاعريته ؟ والجواب هو ... لا أبداً ... فالإنسانية تسير " في حياتها الفنية كما تسير في حياتها الفكرية والمادية نحو غاياتها وأهدافها مستفيدة من كل جهد تقدم، وبكل تجربة مرّ بها السابقون " [٧].

وحقيقة التطور انه خطوات نحو الهدف الذي ترمي الإنسانية أليه ، لابد أن تبتدئ كل خطوة من نهاية الخطوات التي سبقتها " [٧] ، فأبو تمّام " خطوة – يجب أن تسبق المتنبي " [٨] ، فلقد طغى مذهب أبي تمّام الشعري " على كل ما عداه ، وترك أبو تمّام بجبروته الشعري طابعة الخالد على كل ما جاء بعده من شعر" [٩] ، وقد صدق الصولي حيث قال : " ومن تبحر شعر أبي تمّام وجد كل محسن بعده لائذا به " [١٠] ، وهذا اللواذ من أبي الطّيب بابي تمّام ليس عيبا لأنه استعان بشعر أبي تمّام على التفوق عليه [*] ، كما استعان بكل كلمة قرأها أو سمعها على كتابة الشعر ، يقول علماء الاجتماع : " أن المبدع لا يأتي بشيء جديد ، إنما هو يربط ويؤلف بين أشياء

---

[١] . معجم الأدباء ، ياقوت الحموي ، دار الفكر ، ط ٣ ، ١٩٨٠ ، ٨ / ١٧١ ، وينظر : الرسالة الحاتمية (مطبوعة مع الإبانة) ، ص٢٨٣ .

[٢] . المصدر نفسه : ٨ / ١٧٢ .

[٣] . ثقافة المتنبي وأثرها في شعره ، ص ١٠١ .

[٤] . الحركة النقدية حول مذهب أبي تمّام : ١ / ٢٥٣ – ٢٥٤ .

[٥] . الصبح المنبي عن حيثية المتنبي ، ص ٩٤ .

[٦] . المصدر نفسه ، ص ١٤٣ .

[٧] . السرقات الادبية ، د.بدوي طبانة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط٤، ١٩٧٥، ص٢٢١ .

[٧] . السرقات الأدبية ، ص٢٢٢.

[٨] . أبو تمّام الطائي حياته وحياة شعره ، ص٢١٣ .

[٩] . تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري ، نجيب محمد البهبيتي ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، ١٩٨٢ ، ص٥٠٣ .

[١٠] . أخبار أبي تمّام ، ص٧٦ .

[*] . هذا هو رأيي الخاص .

قديمة ، ومعنى هذا إن كل فكرة جديدة تقوم في أساسها على أفكار سابقة لها " [١] ، وبهذا الرأي " نستطيع أن ننقل السرقات الأدبية من حدودها الضيقة إلى آفاق الفن إذا آمنا إن ما يأتي به الأديب من جديد ضئيل إذا قيس بما أخذه عن سابقيه ، وان الأصالة قد لا تعني اكثر من تغيير طفيف ، أو تحوير بسيط ، أو تعديل في النسب والعلاقات ، يدخلها الفنان على عمل فني سابق " [٢] ، فالتأثر لا يلغي الإبداع ولا يتناقض معه فما زال الشاعر " يستعين بخاطر الآخر ، ويستمد من قريحته ، ويعتمد على معناه ولفظه " [٣] .

أما أهم ما توصلت إليه الدراسة فهي :

١- أن الشعر من اكثر الفنون جنوحا نحو التأثر والاقتباس والاستيحاء والمحاكاة ، فالشاعر لا يستطيع أن ينفصل عن أسلافه بل هو لا يستطيع إلاّ أن ينتمي إلى شعراء أمته المجيدين ، فهم أعلام صُوى وأدلاء له في مسيرته الشعرية لا يمكن أن يتجاهلهم أو يجهلهم وإذا اعتسف الطريق دونهم فانه يضل ويتيه ولن يهتدي إلى الأبد .

والدليل على ذلك هو ما حاولنا أن نبرزه للعيان من أن أبا الطّيب المتنبي الذي ملأ الدنيا وشغل الناس بفنه قد اتخذ من أبي تمّام إماما لمذهبه الشعري ، وجعل شعره نصب عينه حتى تمكن – في النهاية – من اجتيازه .

٢- تبرز هذه الدراسة أهمية أبي تمّام شاعراً مؤثراً في كل من جاء بعده ، فهو - حقاً – كما قال القاضي الجرجاني : " قبلة أصحاب المعاني وقدوة أهل البديع " [٤] ، ولم يكن أستاذا للبحتري أو للمتنبي حسب بل " لكل من قال الشعر العربي بعده إلى اليوم " [٥] .

---

[٥] . الأحلام بين العلم والعقيدة ، د. علي الوردي ، مطبعة الرابطة – بغداد ، ١٩٥٩ ، ص٦٢ .
[٦] . القاضي الجرجاني الأديب الناقد ، د. محمود السمرة ، منشورات المكتب التجاري ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٩ ، ص٢١٠ .
[٧] . الوساطة ، ص ٢١٤.
[٤] . الوساطة ، ص٢٠ .
[٥] . شعر الحرب في أدب العرب ، ص٢١٢ .